الجمهوريــــة الجزائريّة الدّيمقراطيـــة الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري - تيزي وزو-

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة والأدب العربي

التّخصص: اللغة والأدب العربي.

الفرع: علوم اللغة.

مذكرة لنيل درجـــــة الماجستير

الموضـــــوع:

إعداد الطالب: سعيد فاهم

معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة

السور السبع الطّوال أنموذجا

-دراسة دلاليــــــة معجمية-

لجنة المناقشــــــة:

أ.د/ صالــح بلعيد، أستاذ التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة مولود معمري تيزي وزو... رئيسا.

د/ السعيد حاوزة، أستاذ محاضر صنف "أ"،جامعة مولود معمري تيزي وزو..........مشرفا ومقررا.

د/ عمر بلخير أستاذ محاضر صنف "أ"،جامعة مولود معمري تيزي وزو.............عضوا ممتحنا.

د/ ذهبية حمو الحاج، أستاذة محاضرة صنف "أ"،جامعة مولود معمري تيزي وزو........عضوا ممتحنا.

تاريخ المناقشة:21/ 06/ 2011

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجمهوريـــة الجزائريّة الدّيمقراطيـــة الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري - تيزي وزو-

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة والأدب العربي

التّخصص: اللغة والأدب العربي.

الفرع: علوم اللغة.

مذكرة لنيل درجـــــة الماجستير

الموضــــــوع: إعداد الطالب: سعيد فاهم

معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة

السور السبع الطّوال أنموذجا

-دراسة دلاليـــــة معجمية-

لجنة المناقشـــــــة:

أ.د/ صالــح بلعيد، أستاذ التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة مولود معمري تيزي وزو... رئيسا.

د/ السعيد حاوزة، أستاذ محاضر صنف "أ"،جامعة مولود معمري تيزي وزو...........مشرفا ومقررا.

د/ عمر بلخير أستاذ محاضر صنف "أ"،جامعة مولود معمري تيزي وزو...............عضوا ممتحنا.

د/ ذهبية حمو الحاج، أستاذة محاضرة صنف "أ"،جامعة مولود معمري تيزي وزو.........عضوا ممتحنا.

تاريخ المناقشة21/ 06/ 2011

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة، و ذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ، متخيّر اللفظ، لا يكلّم سيّد الأمّة بكـــلام الأمّـــة، و لا الملـــوك بكـــلام السّوقــة".

الجاحظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمـــــــــــة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة:

لقد نزل القرآن الكريم في بيئة عربيّة، ينزع أهلها إلى الكلام الفصيح، حيث اهتمّوا بلغتهم وأسلوب خطابهم، فنجدهم عالمين بالبيان، إلا أنّ الأساليب البيانيّة الواردة في القرآن العظيم لا يمكن أن يجاريها كلام البشر، فهي فوق كل خطاب، ومن هنا جاء التّحدي على الإتيان بمثله كقوله عزّ من قائل في محكم تنزيله: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة /23]. ويقول أيضا في موضع آخر: ﴿ قُــلْ لَّئِنْ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ ظَهِيــرًا﴾[الإسراء / 88].

والمتمعّن في القرآن العظيم يرى أنّ الحجاج أو بالأحرى المحاجة يأتيان في أجواء من المراوغة والكبر، والمخالفة النّاشئة عن الخصومة، وعناد كلّ من الكفار والمشركين والمعاندين للرّسالات.

بينما مسوّغات البحث تتمثّل في أنّ أيّ مصطلح قرآني مهما شابه غيره أو قاربه في دلالته ووظائفه، يظلّ قائما بذاته، له خصائصه المميّزة عن غيره، باعتباره كائنا لفظيا له كينونته الخاصّة به. وإيمانا منا بقدسيّة القرآن الكريم المعجز بألفاظه ومعانيه، كان حريّا بنا أن نقدّم الفروق الدّلالية الشّاسعة بين دلالة الوحي، التي هي المرجعية النّصيّة التّأسيسية للحجاج لغة واصطلاحا، وبين المعاني الكلامية الفلسفية التي قوامها المنطق والمغالطات التي حرّفت الكلم عن مواضعه.

لا تكاد تخلو كتب التّراث الإسلامي من تداول مصطلح الحجاج أو المحاجة في عدّة مجالات وخصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري، الفلسفي، التي كثيرا ما يعتريها الخلاف في وجهات النظر، ولهذا نجده مستعملا في علوم جمّة، كالفقه وعلم الأصول والمنطق وعلم الكلام وهلمّ جرا.

إذا كان المصطلح الذي هو مدار السّبر والدّراسة هو الحجاج، فنتساءل الآن عن الدلالات المختلفة للحجاج وألفاظه في القرآن الكريم؟ أولم تر أنّ الحجاج مُعَبَّر عنه بأشكال وصيغ وألفاظ مختلفة؟ وهل هناك تمايز أو تداخل بين الحجاج ومجاله المفهومي؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو بالأحرى: هل هناك فروق مصطلحية لمفهوم الحجاج في القرآن الكريم وبين المفاهيم الفلسفية الكلامية الأخرى؟ إذا كان الأمر كذلك، فما علّة هذه الفروق؟

أما فرضية البحث فتتمثّل فيها يلي:

1- ضرورة الوقوف على كيفية محاجة القرآن الكريم للكفّار والمعاندين للرّسالات.

2- كشف أصالة الحجاج القرآني، والذي هو الإبانة والإقناع، وذلك باستخدام الأدلّة العقلية الفطريّة لإثبات حقّية الإسلام والإيمان بالله عزّ وجلّ.

أما المنهج الذي يتناسب مع هذا النّوع من الدّراسات، فهو المنهج الوصفي التّحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة وتحليلها، ومن ثمّ إصدار الأحكام التي تبيّن قيمتها، وذلك بدراسة سياقات مادة (ح.ج.ج)، وكذا التّعرّض لألفاظ الحجاج الخمسة وتبيان دلالاتها.

بينما بنية البحث فقد آثرنا تقسيمه على هذا النحو:

مقدّمة: سنتعرّض فيها إلى سبب اختيار الموضوع وطرح الإشكالية، والمنهج المُتّبع إلى غير ذلك، ثم سنورد بابين وكلّ باب نقسّمه إلى فصلين وكلّ فصل يُفضي للآخر ونختم البحث بجملة من النتائج التي تُسفر عليها الدّراسة، فالباب الأوّل عنوناه: مفهوم الحجاج ودلالاته، والذي قسّمناه إلى فصلين:

الفصل الأوّل: سمّيناه (دلالة الحجاج لغة واصطلاحا)، حيث تعرّضنا فيه للدّلالة اللّغوية للحجاج لغة واصطلاحا، وألفيناه لا يخرج عن نطاق الجدل، فهو النزاع والخصام بواسطة الأدلة والحجج والبراهين، ثم عرّجنا إلى مدلول الحجاج في البلاغة الأرسطية ووجدناه يحصر الحجاج في مجالين ألا وهما: الجدل والخطابة، حيث أكّد أنّ الحجاج قاسما مشتركا بين الجدل والخطابة فالحجاج في الجدل يعتمد على المعاني العقلية على خلاف الحجاج في الخطابة الذي يعتمد بالأساس على الجانب العاطفي، وفي ختام هذا الفصل تناولنا فيه مفهومه عند اللّسانيين الغربيين ألا وهما المدرسة البلجيكية التي استأنسنا منها بآراء بيرلمان(Perelman) وتلميذه مايير(Meyer) في الحجاج، بينما المدرسة الفرنسية اكتفينا بآراء ديكرو(Ducrot)، الذي حصر الحجاج في بنية اللغة والشيء الملاحظ أنّ هؤلاء اللّسانيين تمسّكوا بالإرث الأرسطي إلى حدّ كبير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بينما **الفصل الثاني،** قد اقتضت علينا الدّراسة تحديد بعض المصطلحات الأساس الواردة في عنوان البحث، ذلك من أجل أن تُنزّل هذه الأخيرة بما تحمله من دلالات ومفاهيم ونذكر منها: السّورة، الآية، السّبع الطوال، ألفاظ الحجاج...

وأما **الباب الثاني،** فقد خصّصناه بالجانب التّطبيقي ووسمناه " معاني ألفاظ الحجاج في السّبع الطّوال و سياقاته المختلفة"، وقسّمناه إلى قسمين:

فالفصل الأوّل: وُسِمَ بدراسة سياقات مادة (حجج)، وتعرّضنا فيه إلى المستوى الإحصائي والتّصنيفي لمادة (حجج)، فوجدنا أنّ عددها خمسة عشر موضعا بمختلف الصّيغ الصّرفية التي ورد بها (الماضي والمضارع والاسم)، ثم نختم هذا الفصل بجملة من التّعليقات والنّتائج.

ثم نعرّج إلى **الفصل الثاني** والأخير الذي سمّيناه (دراسة سياقات ألفاظ الحجاج ووجدنا أنّها خمسة مواد (ج، د، ل و ن، ز،ع و خ، ص، م و ب،ر،ه أو برهان و م، ر،ى) وكلّ مادة من المواد المذكورة حلّلنا سياقاتها، وقد وردت في عشرين موضعا وأنهينا البحث بخاتمة وهي حُويصلة للموضوع، ومن طبيعة البحث الأكاديمي مواجهة بعض المشكلات والصّعوبات المتمثّلة في ندرة المراجع التي تناولت هذا الموضوع بالدّراسة والتّحليل، فهذا الموضوع جديد لا توجد دراسة مستقلّة في حدود معرفتنا في مصطلح الحجاج ذاته، وإنّما هناك إشارات وشذرات مبثوثة في ثنايا كتب التّفسير وعلوم القرآن، إلا أنّنا نتجشّم الصّعاب للخوض في غمار مصطلح الحجاج ودلالاته، ومن هذه الدّراسات التي قاربت أو جانبت الموضوع، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية لعبد الله صولة (الحجاج في الشعر العربي القديم) لسامية الدريدي وكتاب (التّحرير والتّنوير) للطّاهر بن عاشور، و(البرهان في علوم القرآن) للزّركشي إلى غير ذلك.

وأخيرا لا نزعم بأنّنا قد بلغنا الكمال في هذه الدّراسة، وأنّنا أتينا بما لم تأت به الأوائل وإن كان لنا فضل فيعود إلى منهجنا في الدّراسة، وقد بذلنا جهدا في هذا المضمار من أجل أن ننهي هذا البحث في أوانه، كما ننوّه **بأستاذنا الفاضل السعيد حاوزة** الذي أمدّ لنا يدّ العون بتوجيهاته السّديدة وأفكاره الصّائبة التي أسهمت في إنجاز هذه المذكّرة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الباب الأوّل:

مفهوم الحِجَاج ودلالاته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول:

دلالة الحجاج لغة واصطلاحا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدلالة اللغوية للحجاج عند اللغويين العرب:

نتعرض في هذا الجزء من البحث للفظ الحجاج من حيث دلالته اللغوية عند علماء اللغة قديما، ثم ننتقل إلى مفهوم الحجاج في البلاغة الأرسطية، معرّجين إلى تأصيل مفهوم الحجاج في المدرستين البلجيكية والفرنسية.

ولمعرفة الأصول الأولى لمادة (ح.ج.ج) يجدر بنا أن نتغلغل في بطون أمات الكتب والمعاجم اللغوية التي أطالت وأسهبت الكلام في هذا الجذر الثلاثي، لكي يتسنى لنا ضبط دلالته.

الحجاج لغة:

قال ابن منظور:" الحج القصد، حجّ إلينا فلان أي قدِم وحجّه يحجُّه حجّا قصده ورجل مَحْجُوج أي مَقْصُود وقد حجّ بنو فلان فلانا إذا أطالوا الاختلاف إليه"[1]. ويقول في موضع آخر:"الحجة البرهان وقيل الحجة ما دوفع به الخصم...والحجّة الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة... والتّحاج التّخاصم وجمع الحجّة حُجج وحِجاج وحاجّه محَاجّةً وحجاجًا نازعهُ الحجّة... والحجّة الدليل والبرهان وهو رجل مِحجاج أي جدِلٌ"[2].

فعلى هذا يكون الحجاج النزاع والخصام بواسطة الأدلّة والبراهين والحُجج فيكون مرادفا للجدل فالجامع بين معنيي اللفظين هو المخاصمة والمنازعة مع " أنّ فعل حاجَ لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة...وأنّ الأغلب أنّه يفيد الخصام بباطل"[3].

حيث إنّ الجدل يكون في الخير تارة ويكون في الشرّ تارة أخرى، وسنفصِّل أكثر في هذه النقطة، عندما نتعرض لألفاظ الحجاج، وقبل أن نعرّج إلى الدلالة الاصطلاحية، لا بأس أن نستأنس بمعاجم لغوية أخرى حتى ننزِّل هذا المصطلح بما يحمله من دلالات

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب ، ط1، دار صادر، بيروت:1990 م، مادة/حجج .

[2]- المصدر نفسه، مادة/حجج.

[3]- محمد الطاهر(بن عاشور)،التّحرير والتّنوير،ج3، دط، الدار التونسية للنّشر تونس:1984م، ص.32.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومفاهيم، قال الزمخشري:" احتجّ على خصمه بحجة شهباء وبحجج شهب وحاجّ خصمه فحجّه، وفلان خصمه محجوج وكانت بينهما محاجة وملاجة"[1].

فالزمخشري قد حصر الحجاج في المخاصمة والمغالبة قصد الظَّفَر، حيث يأتي كلٌّ من الحجاج والمحاجة بمعنى الخصومة قصد المغالبة، وهذا ما ذهب إليه ابن فارس في قوله:"حاججت فلانًا فحَجَجْتُهُ أي غلبته بالحجّة"[2].

والشيء الذي نلاحظه من خلال هذه التعريفات أن أصل الخصومة والمنازعة لا يستلزمان عداوة ولا مقاتلة بل مدارهما أساسا على الاختلاف مع الطرف الآخر، لأنّ ظروف المنازعة ودواعي الصِّراع يقتضيان تصلبا في الرأي مما يدفع به إلى إقحام كل ما يملكه من الدلائل لكي يُفحِم به الخصم.

ومن خلال هذه النظرة السريعة لأصل هذه المادة الثلاثية (ح.ج.ج) التي استفاضت في شرحها أمات الكتب اللغوية وما تَفَرَّعَ عنها من دلالات، يمكننا القول: إنّ مادة (حَجَجَ) تتفرّع منها معاني جزئيّة ثلاثة: فالمعنى الأوّل: المُحاج وهو صاحب الغلبة(الغالب) والثاني: المَحْجُوج (المغلوب)، والثالث:الحُجج التي يتبادلها المتخاصمان.

وهذا المفهوم اللغوي قاصر وضيّق لا يحوي مفهوم الحجاج بكونه علما مستقلا بذاته له أركانه و طرائقه. ولا بأس إذا تعرّضنا لدلالة الحجاج الاصطلاحية.

ب - الحجاج اصطلاحا:

لمعرفة الدلالة الاصطلاحية للحجاج يجدر بنا أن نستأنس بما قاله علماؤنا الفطاحل قديما وحديثا فيه، حيث قال أبو الوليد الباجي:" وهذا العِلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأنّه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المُحال ولولا تصحيح الوضع في

---

[1]- الزمّخشري(جار الله)، أساس البلاغة ، ط1، دار صادر، بيروت:1992 م، مادة/حجج.

[2]- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السّلام هارون، ج1، ط1، دار الجيل بيروت:1991 م، مادة/حجج.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجَدل لما قامت حُجَّة ولا اتّضحت مَحَجّة ولا عُلم الصحيح من السقيم ولا المُعوج من المستقيم"[1].

أي أنّ الحجاج علم من العلوم له أركانه وطرائقه ووجوهه المميزة له، المحدّدة لماهيته وغاية هذا العلم هو معرفة الحقيقة والتمييز الدّقيق بين الحقّ والباطل، والصواب والخطأ والمعوج والمستقيم وما شابه ذلك من المتناقضات، ومن هنا يكتسي هذا العلم أهمّيته وخطورته.

أما حديثا فقد اشتغل بالحجاج ثلّة من الدارسين العرب، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، طه عبد الرحمن وآخرون ولا يسعنا المقام هنا لذكرهم. ونحن في هذا البحث نركّز على طه عبد الرحمن ولاسيما كتابه (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) الذي عقد فيه بابا كاملا سمّاه "الخطاب والحجاج" واستعرض فيه أنواع الحجج وأصناف الحجاج حيث ركّز على السلّم الحجاجي بوصفه عمدة في الحجاج، إذ أفرد له فصلا خاصا، كما ذهب إلى دراسة الاستعارة من وجهة نظر حجاجية، مؤصّلا لها كما وردت عند عبد القاهر الجرجاني لكن الذي يهمّنا نحن هو التعريفات التي قدّمها للحجاج في مواضع مختلفة من الكتاب، حيث قال:" إنّ الحجاج هو كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها"[2].

فالحجاج في نظره هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل فيها اللغة ويتجسّد من خلالها الإقناع، ومن ثمّ يكون الفهم والإفهام على حدّ قول الجاحظ، والحجاج بآلياته وطرائقه وأنواعه المختلفة طريقة جدّ ناجعة في دراسة مختلف الخطابات، كما يقول في موضع آخر من الكتاب نفسه:" وللحجّة وجهان تختصّ بهما يتمثّل الأوّل في إفادة الرجوع أو القصد إذ الحجّة مشتقة من فعل حجّ الذي يعني رجع فتكون الحجّة أمرا نرجع إليه أو

---

[1]- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التّركي، ط2، دار المغرب الإسلامي المغرب:1987 م، ص.8.

[2]- طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب:1998 م، ص.226.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نقصده إلا لحاجتنا إلى العمل به... والثاني يتمثل في إفادة الغلبة، ذلك أنّ الفعل حجّ يـــدلّ أيضا على معنى غلب فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحجة"[1]

ومن خلال هذا التعريف للحجاج يظهر لنا أنّ طه عبد الرحمن يركّز على المفهــوم اللغوي للحجاج ويرى أنّ له وجهين: فالأوّل هو القصد والثاني: يتمثل في الغلبة بالحجّة وهو لا يبتعد كثيرا عن تصوّر القدامى للحجاج. أما في كتابه " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، فقد نظر إلى الحجاج نظرة شمولية، حيث يقول:" المرسل عندما يطالب غيره بمشاركته اعتقاداته فإنّ مطالبته لا تكتسي طابع الإكراه ولا تدرج على منهج القمع"[2].

من الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المُرسَل إليه بما يراه وتغيير في الموقف الفكري والعَقَدِي وهذا لا يتأتّي بالإكراه وإنّما بالاقتناع. ويقول في موضع آخر من الكتاب نفسه:" وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون...أقــدر على التأثير في اعتقاد المخاطب و توجيه سلوكه لما يهبُه هذا الإمتاع من قوة استحضـــار الأشياء ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنّه يراها رأى العين"[3].

فطه عبد الرحمن في هذا المقام يُركّز على أهمية وخطورة الإمتاع ودوره في الإقناع حيث، يقوم المُرسل باستغلال هذا الإجراء في إذعان المُتلقي.والثاني الــذي كتــب فــي الموضوع، وإن لم تكن دراسته دراسة مُسْهَبَة مُطوّلة، ذلك في مقــال مختصــر بصــفته نموذجا ألا وهو الحواس مسعودي الذي يرى أنّ "الخطاب الحجاجي هو خطاب موجــه وكل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بُعْدٌ حجاجي"[4]. فالحجاج إذن وسيلة من وسائل الإقناع يتوسل بها المرسل للتأثير على المتلقي أو دحض آرائــه أو حتــى تغييــر

---

[1]- المرجع نفسه، ص.137.

[2]-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب:2000 م ص.226.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجا، مجلّة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، عدد 12، ديسمبر:1997 م، ص.330

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سلوكه، فبواسطة الحُجَج المستعملة نُدْرِك شخصية ومنزلة وإمكانات هذين القطبين (المُرسل، المُتلقي).

مدلول الحجاج في البلاغة الأرسطية:

لقد اهتمّ الفلاسفة بالخطابة منذ القدم، وتعود جذورها إلى الفلسفة اليونانية، بل وجدت في تربة اليونان منبتا خصبا فنشأت وأينعت وتطوّرت تطورا يمكن بيُسرٍ ملاحظته ورصد مختلف مراحله، مع أفلاطون وأرسطو والسُفْسُطَائِيينَ، وإن كانت آثار أرسطو هي أهم تلك الأعمال وأبلغها تأثيرا، وما يهمّنا أساسا هي أراء أرسطو في الحجاج.

تعتبر البلاغة الأرسطية أساسا فلسفيا، معرفيا لأغلبية النظريات البلاغية، واللغوية التي جاءت بعدها بشكل عام، فقد دخلت هذه البلاغة في نقاش جدلي حاد مع تيار المذهبين الفلسفيين (السفسطائي والأفلاطوني).

سنحاول في هذا المبحث إبراز أهم ملامح البلاغة الأرسطية، ذلك بربطها بالتيارات الفكرية التي حاججتها. ودخلت معها في صراعات جدلية أسفر عنها نشوء نظرية تُعنى بالحجاج. ويجدر بنا في هذا المقام أن نسلط الضوء على جدل أفلاطون وحواره مع السفسطائيين ثم نعرج إلى البلاغة الأرسطية في حوارها مع الفلسفة الأفلاطونية، وأخيرا نختم هذا المبحث بالتركيز على التمييز بين الحجاجين (الجدلي والخطابي) عند أرسطو.

أ - الحجاج بين أفلاطون والسفسطائيين :

نتناول في هذا العنصر جدل الفيلسوف أفلاطون مع السفسطائيين، وهو الجدل الذي اتضحت منه معالم الفلسفة الأفلاطونية. لقد جاء" أفلاطون" بعد "سقراط" ليقدم تصورا فلسفيا عقلانيا مجردا، ولكنه تصور مثالي أعطى الأسبقية للفكر والعقل، بينما المحسوس لا وجود له في فلسفته المفارقة لكل ما هو نسبي وغير حقيقي، ولأفلاطون نسق فلسفي متكامل يضم تصورات متماسكة حول الوجود والمعرفة والقيم، ثار ضد السفسطائيين وقَوَّضَ أركانهم، وفَنَّدَ أغاليطهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويعد السفسطائيون حركة فلسفية "برزت في القرن الخامس قبل الميلاد وقد تميز روادها بالكفاءة اللغوية البلاغية وبالخبرة الجدلية"[1]، حيث لعب وجودهم دورا كبيرا في تطوير البلاغة والحياة الفكرية في اليونان عامة، فكانوا يعقدون نقاشا فلسفيا ذا منزع لغوي، وقد نبعت شهرتهم البلاغية الخطابية من الخاصية المُغالطية في القول حيث إنّهم كانوا " يستعملون في الغالب سلطة القول في فضاءات السلطة بالمدينة"[2]. حيث وقف ضدهم كلا من أرسطو وأفلاطون، لكن صراع أفلاطون كان أعنف، حيث ألصق بهم صفة قدحية خطيرة حتى صار اسم السفسطائيين مرادفا للنقاش الفارغ الذي لا طائل من ورائه.

كما اهتم السفسطائيون "ببنية كل من الكلمة والجملة وبحثوا في السبل الممكنة التي بها يتحقق الإقناع وتغيير مواقف الآخرين"[3]. كذلك اهتموا إلى حد كبير ببلاغة القول، حيث توسلوا كل أساليب الحجاج قصد الإقناع والإذعان مما أدى الأمر بأفلاطون إلى نقدهم والتصدي لهم حيث نعتهم بأدعياء العلم والمعرفة وأنّ ما يُقدّمونه لا يعدو كونه نتائج ظنية قوامها اللذة والهوى، وهي أمور ومفاهيم مضرة " بالقيم والأخلاق والإيمان واليقين تلك القضايا الأربع التي احتلت مكانة كبيرة في البلاغة والفلسفة الأفلاطونيتين"[4].

ومع ما في هذا الحكم الأفلاطوني من تطرّف وشطط، إلا أنه كان للحجاج والبلاغة السفسطائيتين عمق ونظرة منطقية، إذ لهؤلاء السفسطائين وجهة نظر لتصور الخطاب ودوره في تحقيق الوجود، وقد أفرد أفلاطون لمواجهة تلك الممارسات الحجاجية محاورتين ألا وهما (قورجياس وفيدر) نقد فيهما البلاغة السفسطائية واعتمد في نقده

---

[1]- سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت لبنان:2008 م، ص.244.

[2]- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية، إشراف: حمادي صمودي، منوبة، جامعة تونس، كلية الآداب: دت، ص.51.

[3]- الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص.26.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إستراتيجية واحدة سماها هشام الرّيفي إستراتيجية الكشف.[1] أي أنّ أفلاطون رأى أنّ مواجهته لهم تعدّ على نحو معيّن كشفا للقناع ورفعا للسّتار عن أغالطهم ومزاعمهم ومراوغاتهم اللغوية وقد كان معظم النّقد الذي وجّهه إليهم في المحاورتين المذكورتين يدور حول "منطق الحجاج ومقصده في ضوء قيمتي الحق والخير"[2].

ويتبين لنا من هذا الطرح أنّ أفلاطون يعتمد معياري الحق والخير أساسا لكل حجاج أو بلاغة ينتفع من خلاليهما الفرد والمجتمع على حد سواء. وبهذا كله، يتضح لنا أنّ أفلاطون اهتم فقط بالحجاج الأخلاقي وهو حجاج يمكننا أن ننعته بأنّه مثالي، ومن هنا يمكن أن نقول إن فلسفة أفلاطون فلسفة مثالية مفارقة للمادة والحس تعتبر عالم المُثل هو الأصل بينما العالم الحسي المادي هو عالم زائف ومشوه، ولعلّ هذا مع دفع تلميذه أرسطو إلى نقده.

ب- الحجاج بين البلاغة الأرسطية والفلسفة الأفلاطونية :

سنتعرض في هذه النقطة إلى حوار جرى بين التلميذ (أرسطو) والأستاذ (أفلاطون) لكن في البداية يجدر بنا أن نشير إلى لمحة تاريخية حول بلاغة أرسطو وفلسفته.

يعد أرسطو فيلسوفا موسوعيا شاملا، وكانت فلسفته تنفتح على كلّ ضروب المعرفة إذ يبحث في الطبيعة والميتافيزيقا والنفس وعلم السياسة والشعر وفن الخطابة، حيث وضع المنطق الصوري الذي كان له أثر كبير على كثير من الفلاسفة الذين أتوا بعده، كما بحث في الجدل وما يتّصل به من أقوال حجاجية قبل أن يبحث في البرهان وخصائصه البلاغية عامة والعلمية خاصة، كما يعد كتابه "الخطابة" أقدم كتاب اهتم بالإقناع وأدواته، حيث درس الجدل في علاقته بالخطابة ويقول عبد الله صولة : "إن الجدل والخطابة قُوَّتان لإنتاج الحجج"[3] وهو يؤكد في هذا القول التلازم الثنائي المُتمثل في الجدل والخطابة فهما

---

[1]- ينظر:هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية، ص62.

[2]- المرجع نفسه، ص.72.

[3]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج1، جامعة منوبة تونس:2001 م، ص.21.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توأمان وهذه الصلة القوية الملازمة أشار إليها أرسطو في قوله : "إن الخطابة فرع من الجدل وأيضا فرع من علم الأخلاق يمكن أن يُدعى بحق علم السياسة"[1].

من هذا القول نستنتج الوعي الفكري المبكر لدى أرسطو، والمتمثل في معرفة الخطاب البلاغي الجدلي من انفتاح على مختلف الميادين المعرفية الأخرى، والاستفادة من كل الحقول المعرفية المجاورة : "ولا يخفى ما في هذا التصور من خلاف مع الطرح الأفلاطوني الذي يعتبر هذا النوع من البلاغة فاسدا"[2]، لكون أفلاطون اهتم في خطاباته التي جعلها صناعة، أساسها الحجاج، في حين نجد أرسطو في انتقاده للسفسطائيين يُركّز على إنتاج الحجاج عندهم وما يتعلق به من آليات، وأرسطو يؤكد أن العالم الحقيقي هو العالم الواقعي المادي، أما العالم المثالي فهو غير موجود وأن الحقيقة لا توجد إلا في العالم الذي نعيش فيه وفي الجواهر خاصة التي تدرك بالعقل ولا توجد في الأعراض التي تتغير بتغير الأشكال أي الحقيقي هو الثابت المادي، أما غير الحقيقي فهو المتغير المتبدل فهذه النظرة تخالف تماما الطرح الأفلاطوني وهذا ما ذهب إليه أحد الباحثين العرب المحدثين قائلا : "إنه إذا كان أفلاطون قد رفع بتجريده ومثاليته، الفلسفة من الأرض إلى السماء، فإن أرسطو بدراسته الإنشائية التواصلية قد أعادها إلى الأرض"[3].

ويتضح لنا من خلال هذا العرض أن أرسطو يؤسس فهمه للحجاج على منطلقات منطقية استدلالية لا تخلو من اعتبارات نفسية اجتماعية عامة، ولعل هذا هو السبب الذي منح نظريته الصدى الواسع في دائرة العلوم الإنسانية عامة.

وقد كان هدف أرسطو من هذا التعبير لوظيفة الحجاج والخطابة، هو تخليص الخطاب مما قد يشوهه من تزييف وتملق وركاكة، فالقول عنده له مكانة كبيرة، لأن اللغة هي التي تلعب دورا مُهِمّا في بناء الإنسان والمجتمع على حد سواء.

---

[1]- أرسطو طاليس، الخطابة، حققه وعلّق عليه عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت: 1979 م ص.30.

[2]- الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص.33.

[3]- سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص.32 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهكذا نستنتج من هذه الوقفة القصيرة مع الحجاج الأرسطي كيف أنّه رفض مثالية أستاذه أفلاطون المُفرطة ودعا إلى بلاغة يكون الحجاج عمادها، حيث إنّه لم ينظر إلى الحجاج نظرة جزئية سطحية، بل تكاملية، شمولية، تفاعلية مع مختلف حقول المعرفة الإنسانية في ذلك العصر.

ج- علاقة الحجاج بالجدل والخطابة :

سنحاول في هذه النقطة إلقاء الضوء على مظاهر التداخل بين الجدل والخطابة والحجاج ثم نركز في الأخير على التمييز بين الحجاجين (الجدلي والخطابي).

يُعد الجدل عند أرسطو مبحثا فكريا وسمة مميزة للفلاسفة والنخبة، ويعرفه أرسطو: "بكونه علم الاستدلال المنطقي ولكنه مع ذلك يخالف البرهنة من جهة انطلاقه من مقدمات مشهورة، في حين تنطلق البرهنة في الرياضيات والعلوم من مقدمات صادقة ضرورية"[1].

ومن المهم أن نلفت الانتباه إلى قضية أساس في الحجاج عند أرسطو تتمثل في علاقة الحجاج بمجالين آخرين هما: الخطابة والجدل، فقد أكد أرسطو وجود الحجاج في الخطابة كما في الجدل، بمعنى آخر على أن الخطابة تعتمد الحجاج شأنها في ذلك شأن الجدل وهذا يوحي لنا أن: "الحجاج قاسما مشتركا بين الخطابة والجدل، فالحجاج في الجدل ومرتكزاته في الخطابة فهي مرتكزات عقلية خالصة في الجدل ، في حين تكون مرتكزات الحجاج في الخطابة عاطفية بالأساس"[2].

ويُفهم من هذا القول إنّ الحجاج في الجدل يعتمد ويرتكز على المعايير العقلية الخالصة على خلاف الحجاج في الخطابة الذي يهتم بالجانب العاطفي، فهو إذن ضرب من التأثير العاطفي يصل أحيانا إلى حد الإثارة والتحريض، وبعبارة أخرى فالحجاج الجدلي ذو مجال فكري خالص، وهو عادة ما يكون بين شخصين يحاول كل منهما إقناع صاحبه بوجهة نظر معينة. أما الحجاج الخطابي: "فمجاله توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو

---

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه ط1، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الأردن: 2008 م، ص.18.

[2]- الحجاج في الشعر العربي القديم، ص.18.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صنع الاعتقاد فهو حجاج موجه للغير"[1]. والواقع أن ارتباط الحجاج الخطابي بالمغالطة والخداع والإيهام هو الأمر الذي جعل الخطابة متهمة يُنظر إليها كضرب من المغالطة تشوه الحقيقة وتزيف الواقع، أو بالأحرى الحجاج الخطابي هو حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة والحجاج ليس الغاية منه التأثير النظري العقلي، وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة العواطف والمشاعر، وإلى إرضاء الجمهور واستمالته ولو كان ذلك بمغالطته وإيهامه بصحة الواقع، وعليه فإن الحجاج الخطابي عند أرسطو هو بلاغة الدِّعاية والاستمالة والمغالطة وتحسين القبيح وتقبيح الحسن وإخراج الباطل في صورة الحق وتحريف الكلم عن مواضعه.

3 - مفهوم الحجاج عند اللسانيين الغربيين :

سنتناول في هذا المقام التطور الذي طرأ على التصور القديم للحجاج، وذلك من خلال الإضافات التي قدمتها المدرستان : البلجيكية والفرنسية، حيث درستا هذا المفهوم وأدواره في مختلف حقول المعرفة، ومما تمخض عن هذه الجهود إعادة النظر في البلاغة اليونانية القديمة وقراءتها قراءة جديدة، وذلك بتوظيف كل ما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة، وقد تم تأصيل الحجاج كمبحث أساس في البلاغة المعاصرة على يد بيرلمان (Perelman)

وتيتيكاه (Tyteca) ثم مع ميشال مايير (M. Meyer) وأخيرا نختم باللغوي الفرنسي ديكرو (Ducrot) الذي أقام قطيعة مع التقاليد البلاغية القديمة، حيث اهتم بالخصائص الجوهرية للغة بوصفها أهم خاصية إنسانية.

أ - الخطابة الجديدة أو مفهوم الحجاج عند بيرلمان :

قبل الولوج في تحديد الحجاج عند بيرلمان، يجدر بنا الوقوف عند الخطابة الجديدة وإنجازاتها. لم تشهد البحوث التي أنجزت حول الخطابة استفاقتها المثيرة إلا في القرن العشرين وتحديدا في الستينات من القرن المنصرم، ومما ينبغي الوقوف عنده أن الخطابة الجديدة هي إحياء للقديمة أو بعثا لها في ثوب جديد، وهذا يعني أنها ستأخذ منها أشياء وعناصر، لكن ليست مجرد إعادة القديم فحسب، وإنما هي ضرب من الإحياء مع التطوير

---

[1]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتجديد وهدفها لا يكمن في "تأسيس الخطاب بل تأويله... وأما النقطة الثانية فتتعلق بحقل الخطابة الذي اتسع فعلا فما عاد يقتصر على الأجناس الخطابية الثلاثة التي حددها أرسطو ... بل أصبح يشمل ميادين جديدة تتعلق... بكل أنواع الخطاب"[1].

يُفهم من هذا القول إنّ الخطابة باعتبارها فن الإقناع عبر الخطاب قد اتسع مجالها وأفقها ولاسيما بعد ظهور الكتاب المعنون بـ (مُصنَّف في الحجاج) لمؤلِّفيْه بيرلمان وتيتيكاه الذي شكل ظهوره سنة 1958 منطلقا جديدا وأساسا في علم الخطابة الجديدة الذي مثل نظرة منطقية للحجاج، إذ يعتبر مشروعه البلاغة الجديدة أو الخطابة الجديدة الذي كان محل بحث ولاسيما في الكتاب السالف الذكر، دراسة في الحجاج أو مصنف في الحجاج وهذه الترجمة الأخيرة هي الأقرب والأصح في نظرنا، لأنّ كلمة "الدّراسة" تقابلها في اللغة الفرنسية كلمة(Etude)، وهذا الكتاب صنّفه "بيرلمان" بمعية "تيتيكاه"، حيث يعتبر هذا المصنف اختراقا لمعنى البرهان والاستدلال الديكارتي، وفي هذا المعنى ارتباط ثاني بثنائية أرسطو الجدل المأخوذ من العلم والبلاغة، فبالنسبة لبيرلمان "يمكن للاستدلال أن يُقنع دون أن يكون حسابا، كما يُمكن أن يكون دقيقا، دون أن يكون علميا" [2].

ولاستكناه ماهية الحجاج عند بيرلمان، يجدر بنا أن نتعرض للتعاريف التي قدمها للحجاج في مواضيع عدة من الكتاب، ولا بأس أن نستأنس ببعضها. يُقدّم "بيرلمان" تعريفا للحجاج يجعله "مجموعة من الأساليب أو التقنيات التي تقوم في الخطاب بوظيفة وهي حمل المتلقي على الإذعان بما يُعرض عليه أو الزيادة في حجم هذا الإذعان" [3].

ويقول أيضا في موضع آخر من الكتاب نفسه : "موضوع نظرية الحجاج هو درس التقنيات الخطابية التي بدورها تدفع أو تحمل بالأذهان إلى التسليم لما يُعرض عليها من أطروحات أو الزيادة في حجم ذلك التسليم"[4].

---

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه ص.20.

[2]- Philippe Briton, L´Argumentation dans la communication, 3éme édition, La Découverte, Paris : 2003, P.11.

[3] - Perelman et Tyteca, Traité de l´Argumentation, édition de l´Université de Bruxelles, 5eme édition ,1992. P.11.

[4] - Ibid, P.5.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يفهم من هذين التعريفين أن بيرلمان وزميله ينزلان الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره، وصلة هذا العمل بالخطابة الأرسطية واضحة، لكن المؤلفين لم يكتفيا بالتقليد، حيث "ركّزا على صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية أخرى، فإنّما حرصا كل الحرص على جعل الحجاج أمرا ثالثا مفارقا لهما رغم اتّصاله بهما"[1].

فالحجاج يأخذ من الجدل التّمشي والتأثر الذهني، الذي يقود إلى التأثير في المُتلقي وإذعانه فمجاله العقل والإدراك، حيث يتوسّل المُسلمات لإلزام الخصم وإفحامه، والخطابة تتجلى في توجيه السلوك والإعداد له، والحضّ عليه.

وعليه فإنّ هذا التصوّر للحجاج يظلّ مختلفا عن الخطابة والجدل، ذلك بجمعه بين التأثير النظري والتّأثير السلوكي العملي، فهو خطابة جديدة بالفعل، أمّا غاية كلّ حجاج حسب بيرلمان وتيتيكاه فهي "جعل العقول تسلم بما يُطرح عليها من أفكار أو تزيد في حجم ذلك التسليم، فأقوى حجاج ما وفِّق في جعل شدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين"[2].

يُفهم من هذا الكلام، أنّ إذعان العقول بالتّصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان، الذي هو الغاية من كل حجاج، فأقوى حجة عليه، هي تلك التي تنجح في تقوية حدّة الإذعان عند من يسمعها، ونستشفّ أيضا أنّ الحجاج نظرية مطابقة للبلاغة وهذا ما أكّده ابن الأثير في قوله:" مدار البلاغة كلّها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم"[3]. وهذا يوحي لنا بوجود جذور أولى لهذه النظرية في تراثنا، وما على المجدّ إلا البحث والتنقيب في بطون أمّات الكتب والمصادر اللغوية، لإيجاد هذه المقاربات، من ثمّ الإشادة بهذا الزخم الفكري، والنظريات التي توصّل إليها القدامى.

---

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه ص.22.

[2]- Perelman et Tyteca, Traité de l´Argumentation, P. 59.

[3]- ابن الأثير، (ضياء الدّين)، المثل السّائر في أدب الكاتب والشاع، حقّقه وشرحه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ج.2، ط2، منشورات دار الرفاعي، الرياض:1983 م، ص.64.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقبل أن نعرّج إلى مفهوم الحجاج عند مايير (Meyer) لا بأس أن نتعرّض لِقسمَيْ الحجاج بحسب نوع جمهور المتلقّين " فالأوّل: هو الحجاج الإقناعي *(L'Argumentation Persuasive)* والثاني: هو الحجاج الاقتناعي *(L'Argumentation convaincante)* الأوّل غايته إذعان الجمهور الخاص، ولا يتحقّق إلا بمخاطبة الخيال والعاطفة...في حين الاقتناع *(La conviction)* هي غاية كل حجاج"[1].

أي أنّ بيرلمان ميّز بين الإقناع والاقتناع، فالأوّل يكون من قِبلِ الغير، والثاني يكون من المرء من تلقاء نفسه. أو بعبارة أخرى دون تدخّل الغير، ففي هذه الحالة يكون قد أقنع نفسه بأفكاره الخاصة وفي حالة الإقناع، فإنّ الغير هم الذين يقنعونه، وهذا هو هدف الحجاج حسب ما نصّ عليه بيرلمان، كما عدّ أيضا أنواعا عدّة من الحجاج، على أنّها لا تعدّ حجاجا، ومن ثمّ نلمح تقلّص حدود الحجاج عنده خصوصا إذا علمنا أنّه حصر التّقنيات الحجاجية في نوعين من الطرائق:

- النّوع الأوّل: يقوم على طرائق الوصل *(Procèdes de Liaisons)*
- النوع الثاني: يقوم على طرائق الفصل *(Procèdes de Dissociations)*

ويقصد بالنّوع الأوّل الآليات التي تقرّب بين العناصر المتباينة، وتمكّن من إقامة روابط علائقية بينها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أحد الباحثين العرب المحدثين يرى أنّها "تتيح بذلك قيام ضرب من التضامن بينها لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة"[2]، حيث تعرّض بيرلمان لهذا النّوع في القسم الثالث من الكتاب وخصّص به حوالي ثلاثة مباحث متتالية.

والنّوع الثاني، هو عبارة عن "التّقنيات التي تُستخدم بهدف تفكيك اللّحمة الموجودة بين عناصر تشكّل كلاً لا يتجزّأ وغالبا ما تُستخدم هذه التّقنيات في تفكيك الأبنية الحجاجية"[3].

---

[1]- Perelman, L'Empire Rhétorique, Rhétorique et Argumentation, édition Librairie Philosophique, Paris : 1977. P.31.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص.35.

[3]- سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص.127.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومفاده أنّ الطرائق الانفصالية، تفكّك الأبنية الحجاجية ذلك لأسباب دعا إليها الحجاج كما يُبنى الحجاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامنة والمتراصة مباشرة وقد تعرّض بيرلمان لهذا النوع (الطرائق الانفصالية) في القسم الرابع من كتابه السالف الذكر رأسا أي مباشرة بعد الطرائق الاتصالية (الوصل).

وهذه لمحة وجيزة ومقتضبة لمفهوم الحجاج عند بيرلمان، ثمّ ننتقل أيضا إلى تلميذه مايير (Meyer).

ب – تأصيل الحجاج عند مايير (Meyer):

رأينا فيما سبق أهم أفكار بيرلمان في الحجاج وهي كما تبدو لنا، تتناول الطابع الإشكالي التّساؤلي، أما مايير فينطلق من الحقل الفلسفي الابستيمولوجي وهذا العالم اللّساني لا يزال عطاؤه متواصلا إلى اليوم، ناهيك عن مصنّفاته الكثيرة، التي تدور في فلك الحجاج والبلاغة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، المنطق، اللغة والحجاج وكتاب أسئلة البلاغة وأيضا كتاب في علم المساءلة وهذه الكتب الثلاثة التي اطّلعنا عليها وهنالك كتب أخرى تدور حول الفلسفة، حيث استخلص تصوّره للحجاج من مفاهيم المدرسة البلجيكية نذكر منهم: بيرلمان(أستاذه)، إلا أنّ له وجهة نظر مغايرة، وهذا ما سنعرفه عندما نتعرّض لمفهوم الحجاج عند مايير، ولاسيما ذلك الجانب المتعلّق بربط الحجاج بنظرية المساءلة " فما الحجّة عنده إلا جواب عن وجهة نظر يُجاب بها عن سؤال مقدّر يستنتجه المتلقي ضمنيا من خلال الجواب"[1].

نستنتج من هذا القول، إنّ أيّ سؤال يتطلّب حلا والحجاج عند مايير(Meyer) يتمثّل في إثارة الأسئلة، وهذا عنده هو الأساس الذي ينبني عليه الخطاب. وهو يسعى من خلال مشروعه الفكري، لإقامة نظرية بلاغية، أساسها فكرة التّساؤل، لأنّ الوصول إلى السّؤال الجوهري يُعدّ أهم خطوة في أيّ نظرية وأيّ موضوع وهذا ما تعرّض له في كتابه في علم المساءلة *(De la problématologie)*، حيث يرى " ليس التفكير إلا مساءلة وكذا استخدام الكلام الذي يؤدي بالفكر إلى المساءلة"[2].

---

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص.41.

[2]- Michel Meyer, De la problématologie, Philosophie, Science et Langage, Bruxelles, Mardaga :1986 , P.203.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يمكن القول إنّ منطلقه في نظريته هذه منطلق لغوي، بلاغي، يتوازى مع خلفيته الفلسفية، فالخطاب عنده إفصاح بلاغي بواسطة الكلام، والكلام ليس سوى انعكاسا للفكر والعقل على حدّ تعبير مايير وهذا ما عزى إليه في كتابه المُعنون "المنطق، اللغة والحجاج" *(Logique, Langage et Argumentation)*، حيث يُطابق بين المُساءلة والإشكال قائلا: "فإنّ السؤال والمشكل يتشابهان، وإذا أردتم تعريف سيكولوجي، نقول إنّ كلّ سؤال هو حاجز أو صعوبة أو هو حاجة واختيار ومن ثمّ فهو أمر إلى اتّخاذ القرار"[1].

يثير هذا التّصوّر فكرة خليقة بالاهتمام، وتتمثّل في السؤال الحجاجي الذي يجب أن يحمل إشكالا فكريا يؤدّي بالمخاطب للبحث عنه، ويكون مصدر متعة له.

وعلى هذا، فالحجاج في نظره مرتبط ارتباطا وثيقا بالكلام وهذا ما دلّ عليه عنوان كتابه، حيث يقول مايير في كتابه"أسئلة البلاغة" *(Questions de rhétorique)* :" إنّ الكلام وما يحويه يدفع إلى الحجاج وليس دور الحجاج سوى استغلال ما في الكلام من طاقة وثراء"[2]، لأنّنا بواسطة الكلام نطرح أسئلة، وكذلك نتلقى الأجوبة عن طريق الكلام أيضا ومنه نستنتج أنّه لا وجود لحجاج خارج نطاق الكلام، كما يؤكّد أيضا في كتابه"المنطق اللّغة والحجاج" أنّ الحجاج يشمل جميع ضروب الخطابات، فهو يُركّز على البعد اللغوي في الحجاج والذي يُعرّفه بقوله:" الحجاج له بعد جوهري في اللغة، لأنّ كل خطاب مهما كان نوعه يتّجه لإقناع المتلقّي وإذعانه" [3].

أي أنّ الحجاج يتخلّل كل أصناف الخطاب والنّصوص الشفوية والكتابية التي يُقصد منها حمل المتلقّين على الإذعان، كما نجده أيضا يُركّز على البلاغة، ودورها في عملية المُحاججة ولاسيما الصّور البلاغية ونذكر منها المجاز.

وهكذا يؤسّس مايير تصوّره للبلاغة والحجاج على هذه المعطيات الفلسفية، اللغوية فعلى الرّغم من تبنّيه معظم آراء أستاذه (بيرلمان)، ذلك الجانب المعرفي الفلسفي خاصة إلاّ أنّه في الوقت ذاته، ربط بين الحجاج المُعاصر بالقضايا التي تثيرها الفلسفة.

---

[1]- Michel Meyer, Logique, Langage et Argumentation, édition Hachette: 1982, P.124.

[2]- Michel Meyer, Questions de Rhétorique, Paris :1993 , P.143.

[3]- Michel Meyer, Logique, Langage et Argumentation, P.136.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنّ ما تميّز به مايير عن أستاذه بيرلمان أنّه عالج الحجـاج فـي الحقـل الفلسـفي الابستيمولوجي حيث قال:" اليوم يجب أن تكون الخطابة - بما فيها من حجاج وبلاغـة- في خدمة الفلسفة لا خلاف في ذلك"[1].

واعتمادا على ما سبق، نلاحظ أنّ الحجاج عند مايير متعدّد الأبعاد، حيث ربطه بالسـؤال والإشكال المعرفي، الذي يستدعي البحث والإجابة عنه، ذلك في كتابه علم المساءلة (*De la problématologie*) كما ربطه أيضا باللّغة أو الكلام، ويظهر ذلك جليـا فـي كتابـه المعنون(المنطق، اللّغة والحجاج)، والكلام عنده هو إثارة للسّؤال، فإنّه بالضرورة يستدعي نقاشا ثم حجاجا وعلى هذا فالكلام والحجاج متّصلان لا انفصام بينهما ولا يوجـد حجـاج بمعزل عن الكلام، فكيف لا؟ والمخاطب يتوسّل الكلام كأداة لإذعان المتلّقي، كما أسّـس أيضا تصوّرا للبلاغة والحجاج في ظل المعطيات الفلسفية اللّغوية، على غـرار أسـتاذه بيرلمان الذي أخذ منه منزعه الفلسفي، وتجلّت هذه النزعة في كتابه (أسئلة البلاغة) وبعد الاطّلاع على هذه الكتب الثلاثة، توصّلنا إلى:

أنّ الحجاج عنده ثلاثة أركان وهي أوّلا: المسائلة، ثانيا: الكلام أو اللغة، ثالثا: البلاغة وهذه النظرة وليدة انفتاح تصوّرات مايير على الفلسفة واللّغة، وما تميّز به أنّ كل آرائـه جاءت مغلّفة في إطار فلسفي ابستيمولوجي الذي كان الغالب على منهجه.

ج- مفهوم الحجاج عند ديكرو:

إنّ الحديث عن الحجاج في اللّغة يقتضي منا الوقوف عنـد مؤلّفـات ديكـرو (Ducrot) ولاسيما كتابه الحجاج في اللّغة *(L'Argumentation dans la langue)* الذي كتبه بمعيّـة كلود أنسكمبر (C. Anscombre) وفيه تحدّث عن حجاج مختلف عـن الحجـاج عنـد بيرلمان فهو يقوم على اللّغة بالأساس، أي يكمن فيها، بينما عـرّف بيرلمـان الحجـاج باعتباره :"مجموعة من الأساليب وتّقنيات في الخطاب تكون شبه منطقيّـة أو شـكليّة أو رياضية"[2]. فالحجاج عند ديكرو كامن من حيث بنيته في اللّغة ذاتها كما يدلّ علـى ذلـك عنوان الكتاب الذي وُسِم بالحجاج في اللّغة فالحجاج عنده" إنجاز لعمليتـين همـا عمـل

---

[1]- Michel Meyer, Questions de Rhétorique, P.142.

[2]- الحجاج في الشعر العربي القديم، ص.22.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التّصريح بالحجّة من جهة وعمل الاستنتاج من جهة أخرى، سواء أكانت النتيجة مصرّحا بها أم مضمّنة"[1]. ولقد بيّن ديكرو وأنسكمبر أنّ الحجاج باللّغة يجعل الأقوال تتتابع وتترابط على نحو دقيق وأنّ المتكلّم يجعل قولا ما حجّة إذا أقنع بها المتلقي، ذلك على نحو صريح أو بشكل ضمني، وحسب ديكرو أنّ المتكلّم قد يُصرّح بالنتيجة أو يخفيها، فيستلزم على المتلقي استنتاجها من بنيتها اللّغوية، كما حصر الباحثان درس الحجاج في نطاق دراسة اللّغة، لا في البحث عما هو واقع خارجها لأنّ وظيفة الحجاج عندهما تكمن في التّوجيه (*L'Orientation*) حيث اعتبر ديكرو في كتابه السّلالم الحجاجية أنّ هدف الخطاب الحجاجي " يتمثّل في أن يفترض على المخاطب نوعا من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يتوجّه فيه"[2].على هذا النّحو أقرّ ديكرو بسلطة الخطاب الحجاجي فهو في نظره يسدّ المنافذ على أي حجاج مضاد، فيحرص على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون غيرها.

بناء على ما سبق نُلاحظ أنّ المُرسل يختار من الحجج ما يناسب السّياق، ثم يسوغه في قالب لغوي مناسب ليخاطب بها عقل المرسل إليه، وهذا تأكيد على حضور وظيفة التّفاعل في اللّغة، هنا تكمن أهمّية الحجاج فيما يولّده من اقتناع لدى المُرسل إليه، الذي لا يتأتى له إلا باستعمال اللّغة، مما يؤكّد لنا أنّ نظرية الحجاج في اللّغة تنطلق من فكرة مفادها أنّنا نتكلّم عامة بقصد التّأثير وأنّ الوظيفة الأساس للّغة هي الحجاج، أي أنّنا في اللّغة لا نتبادل أخبارا بقدر ما نتبادل أعمالا حجاجية.

وأخيرا، يمكننا القول إنّ أعمال هذين المؤلفين هي أعمال بنويّة تغلق النّص ولا تتعامل مع خارجه، وبعد هذا الكلام كلّه، يمكن لنا أن نلخّصه بصفة عامة فيما يلي:

إنّ مفهوم الحجاج قد أصّل تأصيلا من قبل مدرستين، ألا وهما: المدرسة البلجيكية التي استأنسنا منها بآراء بيرلمان وتلميذه مايير في الحجاج والمدرسة الفرنسية التي اكتفينا بآراء ديكرو الذي حصر الحجاج في بنية اللّغة.

---

[1]- Anscombre et O. Ducrot, L'Argumentation dans la langue, 1er édition, Bruxelles, Mardaga : 1983, P.28

[2]- O. Ducrot, Les échelles argumentatives, édition de minuit, Paris: 1980, P. 60.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعليه يمكن القول، إنّ الغربيين تمسّكوا بالإرث الأرسطي تمسّكا واضحا إلى درجة يمكننا أن ننعتهم بأصحاب نظريات تجديدية لما كان موجودا، أو بالأحرى بعثا للقديم في ثوب جديد وعموما إنّ مسألة الحجاج عند الغربيين تختلف حقيقة خصائصها عند العرب لأنّ للعرب فكرهم الحجاجي الخالص والخاص المُميّز لثقافتهم ودينهم الإسلامي الحنيف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني:

تحديد المصطلحات الواردة

في عنوان البحث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحديد المصطلحات الواردة في عنوان البحث:

نتعرّض في هذا الموضع للتّعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث، ذلك من أجل تنزّل هذه الأخيرة بما تحمله من دلالات ومفاهيم، في إطار إشكالية البحث التي نـــودّ أن نعالجها، ونذكر من هذه المصطلحات: الآية، السورة، السّبع الطوال، ألفــاظ الحجــاج والحجاج القرآني ودلالته، وهلمّ جرا.

1.مفهوم السورة لغة:

كثيرا ما تردُ على ألسنة الوُعّاظ وأهل العلم كلمة سورة، ربّما تساءل بعضنـــا عـــن معنى هذه الكلمة في كلام العرب، ولاسيما أنّ الله -عزّ وجلّ- قد خصّ بها القرآن الكريم ولا بأس في هذا المقام، أن نستأنس بما قاله علماؤنا الفطاحل في مادة "سور" أو بالأحرى "سأر" قال الزمخشري:"سَأر، أسأر الشارب في الإناء سُؤرًا وسِؤرةً، بقيّة وأسأرت الإبـــل في الحوض بقية سؤورًا، وفلان يتسأر، يشرب الأسآر"[1].

فالزمخشري في قوله هذا يهمز (السُؤْرَةَ)، وعلى هذا يكون المعنى كالآتي: ما بقـــي من الشّراب أو كأنّه قطعة، فعلى هذا "يكون الأصل سؤرَةَ بالهمز ثمّ خُفِّفت فأبدلت واوا لا لانضمام ما قبلها"[2]. وعلى هذا فالمعنى المُتقدِّم هو مدار مادة (سأر) بالهمز "وقـــد همـــز بعضهم السّورة من القرآن وتأويلها في لغة من همزها القطعة التي قد أفضلت من القرآن عمّا سواها وأبقيت وذلك أنّ سؤر كل شيء البقيّة...ولذلك سُميت الفضـــلة مـــن شـــراب الرّجل، يشربه ثم يفضله في الإناء سؤرًا"[3]. أي من همزها جعلها مـــن أســـأرت معنـــاه أفضلت من السّؤر وهو ما بقي من الشّراب في الإناء، والسّؤرة كأنّها قطعة من القـــرآن لكن وردت دون الهمز، حيث تسمى كل سورة القرآن سورة وتجمع سورٌ على وزن فُعَلٌ والسورة بغير همز" المنزلة من منازل الارتفاع ومن ذلك سور المدينة"[4]. ومـــن الدلالـــة على أنّ معنى السورة المنزلة والعلوّ ومنه قول النابغة الذبياني:

---

[1]- الزمخشري، أساس البلاغة، مادة/حجج.

[2]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ط1، مكتبة رحاب، الجزائر:1990 م، ص.112.

[3]- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، دار الفكر، بيروت، لبنان:1984 م، ص.112.

[4]- المصدر نفسه، ج1، ص.35.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أَلمْ ترَ أنّ الله أعْطاكَ سُــورَةً   تَرَى كــُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذبُ

يعني بذلك أنّ الله أعطاه منزلة من منازل الشرف، التي قصرت عنها منازل الملــوك وسميت بذلك - الله أعلم - أنّ قارئها يشرف على ما لم يكن عنده كما يحتمل أن تكــون بمعنى"الرّتبة لأنّ الآيات مرتبطة في كلّ سورة ترتيبا مناسبا"[1] وفي ذلك حجّة لمن تتبّــع الآيات بالمناسبات، فإنّها مرتّبة ترتيبا مناسبا، وقيل أيضا إنّها سميت بذلك (سورة) بتمامها وكمالها من قول العرب للنّاقة التّامة:" سُوَرَةٌ بفتح الواو...وقال الشاعر:سُودُ المَحَــاجِرِ لا يَقِرْنَ* بالسّوَرِ"[2].

إذا انطلقنا من أصل المادة الثلاثية (س،و،ر) التي استفاضت في شرحها وتوضيحها مصادر اللّغة، وما تفرّع عنها من دلالات يمكننا القول إنّ السورة هي القطعة من القرآن إذا همزت ومن خفّفها جعلها من المعنى المتقدّم ارتفاع شرف ومنزلة قارئها.

وعليه، فإنّ المعنيين الأوّلين هما الأقرب إلى الصّواب وهذا ما أشار إليه ابن فارس قائلا: "السّين والواو والرّاء أصل واحد يدلّ على علوٍّ وارتفاع"[3] فابن فارس في هذا المقام يرى أنّ مادة (سَ،وَ،ر) تدلّ على ارتفاع المنزلة وهذا ما ذهب إليه جلال الدّين السّيوطي إلا أنّه ميّز بدقّة بين سَوَرَ وسَأرَ، فيرى أنّه: " سميت السورة سُؤْرَةً لأنّهــا قطعــة مــن القرآن على حدة فهي قطعة منه، أما الثانية التي لا تُهْمز فقد قالوا في اشــتقاقها أقــوالا كثيرة"[4]. أي أنّه من همز سورة وجعلها سؤرة أصبحت بمعنى القطعة من القرآن، بينمــا وجه التّخفيف فيها، فيعطي معان عدّة أشهرها علو المنزلة والشرف، وكذا الارتفاع.

قبل أن ننتقل إلى تحديد مفهوم الآية، كان لزامــا علينــا أن نعــرّج إلــى المعنــى الاصطلاحي للسورة.

---

[1]- الزركشي(بدر الدين)، البرهان في علوم القرآن،ج1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان: د.ت، ص.264.

*-لا يقرن: نظنّ أنّه وقع خطأ مطبعي أو تصحيف في هذه اللفظة، والأصحّ لا يَقْرَأْنَ.

[2]- الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص.112.

[3] - ابن فارس ،مقاييس اللغة،مادة /سور

[4]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج5، ص.52، عالم الكتب، بيروت، لبنان: دت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السورة اصطلاحا:

قال الزركشي: "حدّ السورة قرآن يشمل على آي ذوات فاتحة، وخاتمة، وأقلّها ثلاث آيات"[1]. وإن قيل: فما الحكمة في تقطيع القرآن سورا؟ قلت: إن لكل آية حدّ ومطلع، حتى تكون كل سورة، بل كل آية فنا مستقلا وقرآنا معتبرا، وفي تسوير السورة فائدة، وحكمة ربانية لكون السورة بمجرّدها معجزة وآية من آيات الله تعالى.

وسُوّرت السور طوالا وقصارا وأوساطا تنبيها على أنّ الطول لـيس مـن شـرط الإعجاز فسورة الكوثر ثلاث آيات، وهي معجزة إعجاز سورة البقرة، ناهيك عن سـورة الفاتحة، التي تعدل ثلث القرآن العظيم. وفيما يخص الحكمة من تسوير القرآن، قد أجـاب عن ذلك الزّمخشري في قوله:"سمّى الله كتابه اسما مخالفا لما سمّى العرب كلامهم علـى الجمل والتفصيل، سمّى جملته قرآنا، كما سمّوا ديوانا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضـها آية كالبيت وآخرها فاصلة كالقافية"[2]

وانطلاقا من هذا القول، يتبين لنا من حكمة الله تعالى أنّه تحدى العرب في كلامهـم وفي أساليبهم الفصيحة، حيث جارى بعض هذه الأساليب والتّقنيات، إذ جاءت كما عرفت عند العرب، لكن بمسمّيات جديدة تتّسم بالشمولية وتنسجم مع الرؤية الإسلامية.

مفهوم الآيـــة:

لها في اللغة جملة من أوجه المعاني نذكر منها ثلاثة:

أوّلها:"جماعة الحروف، قال أبو عمرو الشيباني: تقول العرب، خرج القـوم بـآيتهم أي بجماعتهم"[3]. والمعنى الأوّل للآية، يدور حول جماعة الحروف أو طائفـة منهـا، وهـذه الجماعة تكوّن آية.

ثانيها: الآية، العجب تقول العرب: فلان آية في العلم و في الجمال، والآية عجـب، لأنّ البشر عجزوا عن الإتيان بمثلها.

---

[1]- البرهان في علوم القرآن، ج1، ص.264.

[2]- الزمخشري، الكشاف، رتّبه و ضبطه وحقّقه: محمد عبد السلام شاهين، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 1995 م، ص.241.

[3]- الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص.113.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثها: العلامة تقول العرب: خرجت دار فلان و ما بقي فيها آية، أي علامة فكأنّ كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد(ص).

أما القرطبي فيرى أنها "علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها من الذي بعدها وانفصاله وتقول للعرب بيني وبين فلان آية أي علامة"[1].

وهذا المعني نفسه ما ذهب إليه الطبري، حيث يرى أن الآية قد سميت آية "لأنها علامة يعرف بها تمام ما قبلها، وابتداؤها كالآية التي تكون دلالة على الشيء يستدل بها"[2] قبل الولوج في الجانب الاصطلاحي للآية، نعرج إلى أصل كلمة آية، التي اختلف في شأنها النحاة. قال القرطبي: قال سيبويه :"آية فعلة بفتح العين وأصلها آنية تحركت الياء وانفتح ما قبلها وانقلبت ألفا فصارت آية بهمزة بعدها مدة"[3].

والكسائي يرى أن "أصلها أيية على وزن فاعلة، حذفت الياء الأولى ،مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام، ما لزم في دابة "[4]. أي أيية على وزن فاعلة مثل آمنة قلبت الياء ألفا لتحريكها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت لالتباسها بالجمع وقال الفراء: "أصلها أيية، بتشديد الياء الأولى، فقلبت ألفا كراهية للتشديد فصارت آية وجمعها أي وآياء وآيات"[5].

نلاحظ من أقوال هؤلاء النحاة أن أصل آية، أيية بينما مواطن الاختلاف تكمن في تخفيف أو تشديد الياء، لكنهم أجمعوا كلهم على أن أصلها ياءان (أيية) حيث تحذف الأولى، وسبب هذا الحذف الذي أدى إلى الاختلاف.

وقبل أن نختم هذه النقطة، لا بأس أن نشير إلى المفهوم الاصطلاحي للآية.

فحد الآية في الاصطلاح طائفة من القرآن وهذا ما أشار إليه الزركشي في قوله :"حد الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة وأصلها العلامة"[6]

---

[1]- الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص.113.

[2]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص.36.

[3]- الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص.113.

[4]-البرهان في علوم القرآن، ج1، ص.266.

[5]- الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص.113.

[6]- البرهان في علوم القرآن، ج1، ص.266.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي أن الآية كما سبق لنا أن ذكرنا، أنها طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها وأصلها علامة، لأنها علامة لصدق الرسالة وبينة وبرهان من الله – عز وجل-

3 ـــ السبع الطوال :

ترد في كتب علوم القرآن، وكتب التفسير وعلى ألسنة أهل العلم مصطلحات لسور القرآن العظيم: كالطوال والمئين والمثاني والمفصل تدل على سورة معينة من سور القرآن. وربما تساءل بعضنا عن المقصود من هذه المصطلحات، ولعلنا نتوقف قليلا مع كلام جيد للزركشي في كتاب البرهان في علوم القرآن، حيث ذكر هذه الأقسام الأربعة قائلا :"قال العلماء رضي الله عنهم أن القرآن العزيز أربعة أقسام: الطُّول والمئون والمثاني والمفصل"[1]. وقد جاء حديث مرفوع...عن وائلة بن الأسقع عن النبي عليه الصلاة والسلام قال :"أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل وأعطيت المثاني مكان الزّبور وفضلت بالمفصل"[2].

والسبع الطوال أولها البقرة وآخرها التوبة، لأنهم يعدون الأنفال وبراءة سورة واحدة لذلك لم يفصلوا بينهما لأنهما نزلتا جميعا في مغازي الرسول .روي هذا عن ابن عباس وغيره. وسميت كذلك لطولها على سائر السور، إلا أن سعيد بن جبير يرى أن سورة يونس هي السورة السابعة وليست الأنفال والتوبة.

لكن الأظهر والأصح، أن التوبة والأنفال هما السورة السابعة ،لأن التوبة هي أطول من سورة يونس أصلا، فكيف تعد سورة يونس هي السابعة؟ والسبع الطوال إذن هي البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، والأنفال كسورة واحدة، إذ ليس بينهما البسملة وهذا ما رجحه المناوي في قوله : "أولها البقرة وآخرها براءة، بجعل الأنفال وبراءة واحدة"[3]. أما فضلها فقد قال "ابن كثير" في تفسيره: "عن عائشة - رضي

---

[1]- البرهان في علوم القرآن، ج1، ص.244.

[2]- ابن كثير(الحافظ أبي الفداء إسماعيل)، تفسير القرآن العظيم، ج1، دار نور الكتاب الجزائر:2007 م ص.59- 60.

[3]- المناوي (عبد الرؤوف)، فيض القدير، شرح الجامع الصّغير، ج1، ط2، دار المعرفة للطباعة والنّشر بيروت، لبنان:1972 م، ص.565.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله عنها- عن النبي(ص) قال: "من أخذ السبع فهو حبر"[1]، والحبر في كلام العرب العالم الفقيه، ولقب بحبر الأمة ابن عباس - رضي الله عنه- وقال الرسول (ص) "من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر"[2].

ويتجلى لنا من هذين الأثرين، أنّ السبع الطوال لها فضل، حيث نعت من حفظها بالحبر إجلالا وتشريفا، لمن أخذ بها، فهي تعادل ثلث القرآن ونيف، أي بمقدار واحد وعشرين حزبا ووقع اختيارنا على السّبع الطوال بكونها مدوّنة للبحث، لتوفرها على الجانب الأكبر من الظاهرة المدروسة (ألفاظ الحجاج)، وهذا من مقتضيات الدّراسة العلميّة.

ثم ننتقل إلى الأقسام الثلاثة الأخرى بصورة مقتضبة، لأنّها ليست داخلة في صلب دراستنا إلا أنّنا لا بأس أن نشير إليها، ونعرّف بكلّ واحدة على حدة.

ب- المئون: "ما ولي السّبع الطوال سميت كذلك ، لأنّ كل سورة منها تزيد عن مئة آية أو تقاربها"[3].

ج- المثاني: وما ولى المِئين، وقد تسمّى سور القرآن كلّها مثاني ومنه لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾[4]. وإنما سمي القرآن كلّه مثاني، لأنّ الأنبياء والقصص تثنى فيه. ويقال إنّ المثاني في الآية السّابقة هي آيات سورة الفاتحة، لأنّها تثنى في ركعة إلا أنّ القرطبي أشار في تفسيره إلى الآية المذكورة سابقا، يقصد بها السّبع الطوال حيث يقول:" قال ابن عبّاس: أوتي رسول الله (ص) سبعا من المثاني، قال: السّبع الطوال ذكره النّسائي"[5].

د- المفصل: "ما يلي المثاني من قصار السور سُمِيَ مفصلا لكثرة الفصول التي بين السّور بسم الله الرحمن الرحيم وقيل: لقلّة المنسوخ فيه"[6]. وآخره سورة النّاس، وأوّله

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص.59.
2- المصدر نفسه، ج1، ص.60.
3- البرهان في علوم القرآن، ج1، ص.247.
4- المصدر نفسه، ج1، ص.245.
5- الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص.161.
6- البرهان في علوم القرآن، ج1، ص.246.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيه اثنا عشر قولا والمقام، هنا لا يسعنا لسردها كلّها، إلا أنّ المشهور عند أهل العلم هو: أوّله يبدأ من سورة ق إلى آخر سورة الناس، وهذه لمحة وجيزة، حول تقسيم سور القرآن واستعرضنا فيها أهم المصطلحات، فالأساس في هذا التقسيم، والأصل الذي استندنا إليه هو البرهان في علوم القرآن الزركشي.

4- الاحتجاج القرآني ودلالته:

تتمثل معجزة محمد(ص) في القرآن العظيم، الذي يخاطب به البشرية لإقناعهم بالتّخلي عن معتقداتهم والإيمان بالمعتقد الجديد" وقد تعدّدت مظاهر هذا الإقناع في القرآن فهو إقناع مبني أساسا على اللغة"[1].

والمتمعّن في مضمون كتاب الله، وأسباب نزوله، يمكن أن يقول إنّ القرآن العظيم خطاب حجاجي، لكونه جاء ردا على خطابات، فهو يطرح أمرا في غاية الأهميّة، ألا وهو الإيمان بالله الواحد، ويقدّم الحجج، بمستويات مختلفة لتدعيم الرسالة النبوية والوقوف ضد ما يعتقد به المشكّكون، وما يقدّمونه من حجج أو بالأحرى، من شبهات "فالرافضون له والعازفون عنه كُثر وهم من مستويات مختلفة، لهم حججهم وإن كانت واهية، حيث يمكن أن تقنع أصناف ولا تقنع أصنافا أخرى لأسباب متعدّدة يذكرها القرآن"[2].

كما تعدّدت مظاهر الحجّة في القرآن إذ يستحيل الوقوف عليها كلّها، لأنّ ذلك عدّ عماد إعجازه، وتتمثّل في بعض القوالب والصيّغ والأدوات والإجراءات، ونحن في بحثنا هذا سنقف على الجانب المعجمي لألفاظ الحجاج، وكذلك سياقاتها المختلفة بغض النظر عن دراسة بعض الأدوات والروابط الحجاجية التي تعدّ من صميم الدّراسة التّداولية.

كما نجد في القرآن الكريم من الأدلّة والمناهج العقلية ما ينفع الناس على اختلاف أجناسهم وتفاوت أفهامهم، فكلّ واحد يجد فيه ضالته وبغيته، يقول أبو حامد الغزالي:" أدلّة القرآن مثل الغذاء ينفع به كل النّاس، وأدلّة المتكلّمين مثل الدواء ينفع به آحاد النّاس ويستضر به الأكثرون، بل أدلة القرآن كالماء الذي ينفع به الصبي والرضيع والرجل...

---

[1]- الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، ص.332.

[2]- المرجع نفسه، ص 333.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها مرة أخرى، ولا ينتفع بها الصبيان أصلا"[1].

فالإمام " أبو حامد الغزالي" في هذا المقام يميز بين نوعين من الأدلة : فالنوع الأول هي أدلة القرآن التي تهدف إلى الإقناع بالبراهين والحجج العقلية والفطرية، وذلك إثباتا لحقيقة الإسلام والإيمان بالله – عز وجل - والنوع الثاني هي أدلة المتكلمين والفلاسفة التي قوامها المنطق والمغالطات التي حرّفت الكلم عن مواضعه.

والاحتجاج القرآني قد أثار جدالا واختلافا بين الفلاسفة، نذكر منهم الفيلسوف ابن رشد في كتابه الموسوم:"فصل المقال"، حيث يرى أن الناس في الشريعة ثلاثة أصناف: "صنف ليس هو من أهل التأويل أصلا وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب ... وصنف هو من أهل التأويل الجدلي، وهؤلاء هم الجدليون بالطبع فقط أو بالطبع والعادة وصنف هو من أهل التأويل اليقيني، وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة أعني صناعة الحكمة"[2].

يقصد "ابن رشد "من قوله أن مقصود الشّرع الأوّل هو العناية بالجمهور الأعظم ولما كان هذا السواد الأعظم، من عامة النّاس ودهمائهم. فلم يخاطبهم بتعقيد المنطق ولا بتفكير الفلاسفة، ولهذا فإن أكثر حجاج للقرآن من الاستدلال الخطابي الذي أشار إليه ابن رشد. ولا بأس إذا استأنسنا ببعض ما ذكره العلماء المسلمون في العصر الحديث، قال الشيخ أبو زهرة: "الاستدلال القرآني له طريق قائم بذاته وإذا نظرت فيه وجدت فيه ما امتازت به الأدلة البرهانية من يقين، لا مرية فيه وما امتازت به الأدلة الخطابية من إشارة الإقناع لا يتسامى وهو معجز لكل الناس عربهم وعجمهم"[3].

فالقرآن الكريم كان يسلك بعض مناهج الخطابة في الاستدلال مع علوه عليها وذلك:

---

[1]- أبو حامد الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام، تصحيح وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي ط1 دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان: 1985 م، ص.81.

[2]- ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشّريعة والحكمة من الاتّصال، تقديم و تعليق: بوعمران الشيخ وجلول البدوي، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر: 1982 م، ص.56.

[3]- أبو زهرة، المعجزة الكبرى للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة: دت، ص.368.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا: في أسلوبه، لأنه معجز بألفاظه ومعانيه ولا يشبه كلام البشر، لا هو بشعر ولا هو بنثر على حد قول طه حسين.

ثانيا: لأن كل مقدماته ونتائجه يقينية. والأدلّة الخطابية كما يقول ابن رشد تقوم على إثبات الحق بأدلة قطعية.

وعليه فإنّ الاحتجاج القرآني يحتل الصدارة. يقول أحد الباحثين العرب: "إذ نص علماء اللغة صراحة على أن القرآن سيد الحجج"[1]، ولعل هذا هو السبب الذي دفع أكثر النحاة إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم، حيث كثرت في النصوص العربية الاستشهادات القرآنية. وفي هذا الصدد لا يمكن إغفال أثر كتاب الخطابة لأرسطو، الذي استثمره الفلاسفة من بعده في تصنيفهم لأساليب الاستدلال الخطابي، فقد قسم أرسطو أنواع البراهين والحجج الخطابية إلى:"الحجج الجاهزة (غير المصطنعة): وهي عند أرسطو القوانين والاعترافات وأقوال الحكماء... أما الحجج المصطنعة فهي تحتاج إلى حيلة من طرف الخطيب"[2].

كما استفاد الفلاسفة العرب من تحليلات أرسطو حول الخطابة، لكنهم احتفظوا بخصوصيات النص العربي خاصة، والثقافة العربية عامة.

فإذا كانت الحجج الجاهزة عند أرسطو تعني أقوال الحكماء والاعترافات والقوانين فهي في الخطابة العربية تعني: الأبيات الشعرية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وهي الحجج الجاهزة التي تكسب النص قوة استدلالية قطعية، بينما الحجج المصطنعة التي أشار إليها في القول السابق، تتمثل في أخلاق الخطيب وشخصيته، وكذا أحوال السامعين وطبقاتهم المختلفة.

---

[1]- محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللّغة، رواية اللّغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة:1988 م، ص.101.

[2]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري تطبيقي لدراسة الخطابة العربية، القرن الأوّل نموذجا، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب: 1986 م، ص.101.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5- ألفاظ الحجاج:

تنتمي إلى الحقل الدلالي لمادة (ح.ج.ج) عدّة ألفاظ مستعملة في القرآن الكريم فبعضها يصل إلى حدّ الترادف والتّطابق، وبعضها الآخر يتشابه في وجه من الوجوه وربّما كان في نعتنا إياها بـ "ألفاظ الحجاج" بعض التجوّز، ونقصد بها مجموعة من الألفاظ والصيّغ التي تروم الحوار، وتهدف إلى الإقناع بالبراهين، وهذه الألفاظ تصبّ في المصبّ نفسه، فهي متقاربة ومختلفة في الوقت نفسه، ونذكر منها: الجدل والمراء والنزاع والخصومة والبرهان. وهنالك أيضا ألفاظ أخرى كالاختلاف والحوار والبيّنة والآية إلى غير ذلك، إلا أنّنا اعتمدنا الأقرب فالأقرب، وكلّ لفظة من الألفاظ المذكورة آنفا تشرح على حدة.

أ- الجدل:

وهو يكاد يرادف مفهوم الحجاج إلا أنّ هناك فروقا دقيقة أشار إليها الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتّنوير حيث قال:" المجادلة، المخاصمة بالقول وإيراد الحجّة عليه فتكون في الخير... وتكون في الشّر[1].

ويعرّف الحجاج في موضع آخر قائلا:" معنى حاج، خاصم وهو فعل جاء على المفاعلة ولا يُعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرّد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادة التي اشتقّ منها... أنّ حاجّ لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة ... وأنّ الأغلب أنّه يفيد الخصام بباطل"[2].

إنّ الجامع بين مفهومي اللفظتين هو المخاصمة والمنازعة، لكنّهما في الحجاج قائمتان على الباطل، في حين الجدل منه ما هو حق، ومنه ما هو باطل ولاستكناه ماهية الجدل أصوله اللغوية، كان حريا بنا أن نستعرض بعض المعاني الدلالية التي قدّمت للجدل، قال ابن فارس: "الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من استحكام الشيء واسترساله يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام"[3].

---

[1]- محمد الطاهر بن عاشور، التّحرير والتنوير، ج12، الدار التونسية للنّشر، تونس: 1984م، ص60

[2]- المرجع نفسه، ج.3، ص.32.

[3]- مقاييس اللّغة، مادة/جدل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقول أيضا في سياق الموضوع نفسه:" والجدول نهر صغير وهو ممتد ماؤه أقوى...يقال أجدل الحَبّ في سُنبلة فقَويَ، والأجدل الصّقر سُمي لذلك لقوّته"[1]. وهذا المعنى نفسه ما ذهب إليه الزمخشري قائلا:" جدل الحبل، فتله...وطعنه فجدله ألقاه على الجدالة وهي الأرض وكان فلان جدالا فصار تمّارا، وهو بائع الجدال وهو البلح لاشتداده"[2].

يدور الجدل في أصله اللغوي على معاني القوّة والصلابة والشدّة والغِلْظَةِ، وهذا ما توصّلنا إليه بعد استقراء هذه المعاني الدلالية السابقة للجدل، إلا أنّ ابن منظور يرى: " أنّ الجدل مقابلة الحجّة بالحجّة والمجادلة والمناظرة والمخاصمة"[3].

إذا كان مدار الجدل في اللغة يحوم حول الشدّة والصلابة، فَمَا مفهوم الجدل في الاصطلاح؟

سنحاول في هذه النقطة أن نستعرض بعض التعريفات الاصطلاحية للجدل، قال صاحب المصباح المنير:"إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، هذا أصله، ثم استعمل على لسان حكمة الشرع في مقابلة الأدلّة لظهور أرجحها"[4].

ويرى أبو البقاء الكفوي أنّ:" الجدل عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله لحجّة أو شبهة وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره"[5].

ويذهب الشريف الجرجاني المذهب نفسه، في تعريف الجدل تعريفا مستمدا من مقولات الفلسفة، حيث يقول:" الجدال عبارة عن مراء يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها

---

[1]- مقاييس اللّغة، مادة/جدل.

[2]- أساس البلاغة، مادة/جدل.

[3]- لسان العرب، مادة/جدل.

[4]-الفيومي(أحمد بن محمّد المقري)، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، المطبعة الأميرية القاهرة مصر:1980 م، ص.128.

[5]-الكفوي(أبو البقاء الحسيني)، الكلّيات، المطبعة العامرة، مصر: دت، ص.22.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدّمات البرهان، وهو دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجّة أو شبهة وهو الخصومة في الحقيقة"[1].

وواضح أنّ التعريفات السابقة أقرب إلى المنطق الفلسفي منها إلى الجدل القرآني المبني على الأدلّة الفطرية، والمجادلة بالتي هي أحسن، وهدفه الأساس الإقناع والوصول إلى الحق. ومن جهة أخرى نجد أحد الباحثين العرب المحدثين يربط بين الجدل وعلم الكلام وتحقيق الغلبة؛ حيث يقول: "إنّ الجدل هو الذي يطلق على المشادة الكلامية التي تهدف إلى تحقيق الغلبة، لما اُعتنِق من مذهب ولما اِتّخِذَ من رأي... وهو المفاوضة على سبيل المنازعة"[2].

بينما نجد ابن خلدون الذي يحدّد بدوره الجدل قائلا: "أما الجدل فهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية، وغيرهم، فإنّه لما كان باب المناظرة في الردّ والقبول متّسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج"[3]. والشيء الملاحظ من خلال هذين التعريفين الأخيرين هو أنّ الجدل يتداخل مع علم الكلام، وهذا ما أقرّ به ابن خلدون صراحة، فعلم الكلام نشأ عن اختلاف العلماء في تفسير الآيات المتشابهات، ومن ثمَّ دعا ذلك إلى الخصام والتناظر، وهذا ما نجده في كتاب "ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال"، يقول فيه صاحبه:"يراد من المجادلة المنازعة لا لأجل إظهار الحقّ بل لأجل الانتصار على الخصم بإلزامه إن استطاع إفحامه"[4]

في هذا القول يركّز صاحبه على الجانب السلبي للجدل، وهو الخصام والنزاع، أو الجدال بالباطل، وهذا ما نهى عنه الشّرع، ولعلّ هذا ما دفع بالكثيرين من علماء الإسلام لمعارضة منهج الجدل القرآني، خشية التباسه بالمنطق الجدلي، الفلسفي الذي قوامه

---

[1]-الجرجاني(الشريف علي بن محمّد)، التّعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار اللّسان العربي، بيروت لبنان: 1992 م، ص.101 – 102.

[2]- محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، شركة الشّهاب للنّشر والتّوزيع، الجزائر: دت، ص.8

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 1993 م، ص.362.

[4]- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم دمشق سوريا:1975 م، ص.357

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المغالطات، التي حرّفت الكلم عن مواضعه، وكرد فعل لهذه النظرة السلبية للجدل القرآني ظهر عالم ألمعي ألا وهو ابن حزم الأندلسي، الذي ذاد عن الجدل القرآني وأفحم المعارضين بالحجّة والأدلّة الدامغة؛ حيث يقول:" فلا أضعف، ممن يروم إبطال الجدال بالجدال، ويريد هدم جميع الاحتجاج بالاحتجاج، ويتكلّف فساد المناظرة بالمناظرة...، لأنّ حجّته هي بعض الحجج التي يراد إبطال جملتها وهذه طريق لا يسلكها إلا جاهل ضعيف...والجدال الذي ندعو إليه هو طلب الحق وتبيينه"[1].

وفي مقام الذود عن المسائل الجدلية في القرآن العظيم، لا بأس أن نستأنس بما قاله ابن القيم الجوزية، في استحباب وجواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، حيث يرى: "ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب...إذا ظهرت مصلحتهم من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجّة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجزا عن إقامة الحجّة"[2].

يمكن أن نستخلص من هذه النماذج التي استأنسنا بها، أنّه لا يوجد تعارض بين النّصوص التي وردت في مقام النهي عن الجدل، وكذا النّصوص التي وردت للأمر عنه فيجب أن تُحَمّلَ نصوص النهي عن الجدال بالباطل وهو المذموم والنّصوص التي تدعو إليه أي عن الجدال بالحق وهو المطلوب، فحينئذ نقترب إلى زوال الإشكال، وتوضع الأمور في نصابها على وجه التّقريب حسب ما تبين لنا بعد عرضنا لبعض أقوال العلماء قديما وحديثا.

وعلى هذا، يكون الجدل تارة بالحق، وتارة أخرى يكون بالباطل، وهذا ما يثبته العقل والنّقل، لكون جدل القرآن الكريم هو براهينه وأدلّته التي اشتمل عليها، حيث يأتي قاسيا ومصحوبا بالوعيد عند جداله للمنافقين.

وعليه، فإنّ الجدل حاجة فكرية وعلمية لتقرير مبادئ الدّين، والجدل هو أداة لدفع شبهات أهل الزّيغ والضلال.

---

[1]- ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، تح: محمّد أحمد عبد العزيز مكتبة عاطف القاهرة : 1978 م، ص.27.

[2]- ابن القيم الجوزية، زاد الميعاد في هدي خير العباد، ج3، تح: شعيب الأرناؤوط، ط1 مؤسّسة الرسالة بيروت، لبنان:1979 م، ص.42.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب - البرهان:

ومن الملاحظ جدا، أنّ اصطلاح "حجاج" وبرهان، يردان في كثير من الأحيان بصفتهما مرادفين تابعين، حيث ينوب أحدهما عن الآخر، بل غالبا ما يستعملان بصفتهما مصطلحا واحدا، إلا أنّ ثمّة فرقا بين الحجاج الذي يصطلح عليه بالفرنسية (*L'Argumentation*) والبرهان الذي يصطلح عليه (*La démonstration*).

وانطلاقا من هذه التقدمة، يجدر بنا أن نقدّم الدّلالة اللغوية للبرهان، حتى تتبيّن الفروق المصطلحية. وبعد تصفّحنا لكتاب "أساس البلاغة"، عثرنا على مصطلح البرهان في مادة (بَرَهَ)، حيث قال الزمخشري: "بَرَهَ، أقمت عنده برهةً من الدّهر... وأبره فلان جاء بالبرهان وبرهن مولّد، والبرهان بيان الحجّة وإيضاحها ... من البرهرهة، وهي البيضاء من الجواري"[1].

بينما ابن منظور يرى أنّ:" النون في البرهان ليست أصلية عند الليث، أمّا قوله برهن فلان إذا جاء بالبرهان، فهو مولّد، والصواب أن يقال أبره فلان إذا جاء بالبرهان"[2].

انطلاقا، من هذين التعريفين لمادة (بره)، نلاحظ أنّ أصل هذه اللفظة مولّدة على عكس مادة (حجج)، التي تواترت في جملة من المعاجم اللغوية، وهذا يعني أنّ الحجاج مصطلح أصيل في تراثنا على خلاف البرهان.

كما نجد أيضا أرسطو في كتابه " الخطابة" يتعرّض ويحدّد فيه الأسلوب الذي تتمّ به البرهنة، حيث قال:" الكلام يتضمّن جزأين إذ لا بدّ من ذكر الموضوع، الذي نبحث فيه ثمّ بعد ذلك نقوم بالبرهنة، ولهذا فمن المستحيل بعد ذكر الموضوع أن نتجنّب البرهنة أو نقوم بالبرهنة قبل ذكر الموضوع أوّلا، ذلك أنّه حين نبرهن، إنّما نبرهن على شيء ولا نذكر الشيء إلا من أجل البرهنة عليه، وأولى هذه العمليات هي العرض، والثانية هي الدّليل يُفْضِي إلى وضع تفرقة بين المسألة وبين البرهان"[3]. بينما الحجاج لا يخضع لهذا

---

[1]- أساس البلاغة، مادة/بره.

[2]- لسان العرب، مادة/ بره.

[3]- أرسطوطاليس، الخطابة، ص.229.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الترتيب ولا بأس أن نستأنس ببعض أقوال المحدثين العرب وغيرهم من الغربيين، للتّمييز بين الحجاج والبرهنة.

أوّلا: من حيث الصّدق والكذب، فالبرهنة تتعلّق بالصّدق والكذب وتهدف إلى إثبات قضية بينما تهدف المحاجة إلى التّأثير على الرّأي، يقول روبير بلانشي في كتابه" الاستدلال": "ففي البرهنة شيء لا يتأثّر لا بالأشخاص ولا بالزمان، أما المحاجة على العكس فهي تتوجّه إلى إنسان لإقناعه"[1].

ثانيا: من حيث التّأثير، فيجب أن نميز بين المحاجة والبرهنة على أساس أنّ: "البرهنة توجب إذعان العقل، أما المحاجة فهي تستهدف إذعان الإرادة"[2].

ويقول بلانشي في موضع آخر:"الاستدلال البرهاني يؤدي إلى نتيجة، بينما الاستدلال الحجاجي يريد أن يبرّر قرارا"[3]. بعد عرضنا هذا المقتضب، للتمييز بين المحاجة (الحجاج) والبرهان، تبيّن لنا أنّ روبير بلانشي، قد ميّز بينهما تمييزا في منتهى الدّقة، حيث يرى أنّ مجال البرهان اليقينيات ومساره عقلي محض يؤدّي إلى نتيجة ولا علاقة له بالشخوص والأزمنة، على خلاف الحجاج الذي مجاله الرّأي وإذعان المتلقي، وهذا ما ذهب إليه الحواس مسعودي قائلا: "ومن السّمات الأساسية للحجاج إمكانية النقض، على عكس البرهان الذي تكون نتائجه يقينية"[4]. وإذا انتقلنا إلى مانغونو(Maingueneau) وجدناه يقول:"عادة ما نقابل الحجاج بالبرهنة فالبرهنة تقتضي مسعى مكان ظهور الحقيقة، بواسطة تسلسل ضروري وذلك انطلاقا من قضية مسلّمة على خلاف الحجاج الذي يطبّق في اللغة الطبيعية ويستعمل كل الوسائل التي من خلالها نذود عن قضية محتملة"[5]. فمانغونو في هذا المقام يميز بين البرهنة التي مجالها اليقينيات والانطلاق يكون فيها من قضيّة مسلّمة على عكس الحجاج الذي يركّز على إذعان المتلقّي بشتى الوسائل.

1- روبير بلانشي، الاستدلال، تر: محمود يعقوبي، دار الكتاب الحديث، الجزائر: 2003 م، ص.302.

2- المرجع نفسه، ص.302.

3- المرجع نفسه، ص.310.

4- الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، ص.330.

5- Dominique Maingueneau, Analyse du discours, Nouvelle édition, Hachette, 1991. P.228.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ج- الخصام:

لا شكّ أنّ لفظ الخصام يقترب كثيرا من الجدل، ورد في "لسان العرب":"خصم الخصومة الجدل خاصمه خصاما ومخاصمة فخصمه، يخصمه خصما، غلبه بالحجّة والخصومة الاسم من التخاصم والاختصام ... ورجل خَصِمٌ جدلٌ"[1]. فابن منظور، في هذا السّياق يَحْصُرُ الخصومة في الغلبة بالحجّة، وأنّه مرادف للجدل وهذا ما أقرّ به صراحة. ولتُنَزّل هذه اللفظة بما تحمله من دلالات، كان لزاما علينا أن نستأنس بما ذُكِرَ في المعاجم اللغوية في أصل هذه المادة فنجد الراغب الأصفهاني، يعرّفه قائلا: "الخصم مصدر خصمته، نازعته خصما يقال خَصَمْتَهُ وخَصِمّتَهُ مخاصمةً وخِصاما...وأصل المخاصمة أن يتعلّق كلّ واحد بخصم الآخر أي جانبه"[2].

والزمخشري يُحدّد الخصام بقوله:"وأخصم صاحبه لقّنه حجّته حتى خصم، وخاصمه مخاصمةً، وضعه في خصم الفراش وهو جانبه"[3].

وانطلاقا من أصل هذه المادة التي استفاضت في شرحها وتوضيحها المعاجم اللغوية تبيّن لنا أنّ لفظ الخصام يرادف الجدل، لكونه يقترن في غالب الأحيان بالمخاصمة، كما ورد في مواضع عدّة في القرآن الكريم، والغالب على معناه أنّه مذموم، وهذا ما ذهب إليه فؤاد عبد الباقي في قوله: "خاصمه خصاما، نازعه وجادله فهو مُخاصم وخَصِيم"[4].

نلاحظ مما سبق أنّ مادة (خصم) تعني الجدل والنزاع الذي عادة ما يكون بين الطرفين، كلّ منهما يحاول إفحام خصمه، وذلك بإقحام كل الحجج والبراهين الممكنة.

د- النّزاع:

ومن ألفاظ الحجاج أيضا النزاع، الذي يدلّ على المخاصمة والشّقاق، فقد أتى ذكر هذه اللّفظة في جملة من المعاجم اللغوية، ونحن في هذا المقام سنورد بعضا منها. وبعد

---

[1]- لسان العرب، مادة/خصم.

[2]- الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المطبعة الميمنية، مصر: دت، مادة/خصم.

[3]- الزمخشري، أساس البلاغة، مادة/خصم.

[4]- فؤاد عبد الباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج1، ط2، الهيئة المصرية العامة للتّأليف والنّشر، مجمع اللّغة العربية، مصر:1970م، ص.302.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تصفّحنا للمعجم الأم والأساس لسان العرب ألفينا ابن منظور يعرّفه قائلا:"نـزع الشـيء ينزعه نزعا والنِّزَاعَةُ والنَّزَاعَـةُ والمِنْزَعَـةُ والمَنْزَعَـةُ، الخصـومة والمُنازعـةُ فـي الخصومة،مجاذبة الحجج، فيما يتنازع فيه الخصمان، وقد نازعه منازعةً ونزاعًا، جاذبـه في الخصومة ... والنّزاع التخاصم"[1].

والزمخشري يعرّفه بقوله كذلك:"نزع الشيء من يده جذبه، وانتزعه ورجلٌ مِنْـزَعٌ شديد النّزع...ونازعه الثَّوْبَ جاذبه...ونزع عن الأمر نزوعًا، كفَّ عنهُ...فـلان ينـزع بحجّته يحضر بها، ونازعه الكلام، نازعتَه في كذا، خاصمته منازعة ونزاعا وتنازعوا"[2]. وهذا نفسه ما ذهب إليه الرّاغب الأصفهاني في قوله:" التّنازع والمنازعة، المجاذبة ويُعبّرُ بهما عن المخاصمة والمجادلة"[3]. وقد ورد هذا اللفظ في القرآن العظيم، في عدّة مواضـع وبالأخص في السّبع الطوال، ولا ضير! إذا استأنسنا منها بشاهدين نحو: قوله تعالى:

﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[4]. وقوله أيضا: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ وَلَـا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾[5].

وعلى هذا، فإنّ لفظ نزاع ورد في القرآن العظيم أكثر من جهة الذّم مثـل: الجـدل والحجاج وغيرها، بينما في مُدوّنتنا ورد كلّه من جهة الذّم.

هـ - المراء:

مما لا شكّ فيه، أنّ المراء يدخل في الحقل الدّلالي للحجاج، وهذا مـا سـنحاول أن نتطرّق إليه وذلك بعرض بعض التّعاريف الواردة في ثنايا المعاجم اللّغويـة، قـال ابـن منظور:" وماريت الرّجل أماريه مِراءً، إذا جادلته والمِرْيَـة والمُرِيَـةُ الشّـك والمِـراء والمُمَاراة والجدل... والتّماري والمماراة المجادلة على مذهب الشّـك والرّيبـة ويقـال

---

[1]- لسان العرب، مادة/نزع.

[2]- أساس البلاغة، مادة/ نزع.

[3]- المفردات في غريب القرآن، مادة/ نزع.

[4]- سورة آل عمران: الآية 152.

[5]- سورة الأنفال: الآية 46.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للمناظرة مماراة لأنّ كلّ واحدٍ منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه، كما يمتري الحالب اللّبن من الضّرع"[1].

وفي هذا السّياق، قال الزمخشري:"مريتُ الناقة، وأمريتها حلبتها، فأمرّت وناقة مَرِيٌّ درورٌ...مَرَيَ في الأمر وامترى وتمارى وما فيه مُرْيَةٌ ومِرْيَةٌ شكٌّ، وماريْتَهُ مماراة جاذبته ولاججته"[2]. وفي هذا السياق نفسه ذهب الرّاغب الأصفهاني في قوله:" الامتراء والمماراة، المحاجة فيما فيه مَرْيَةٌ"[3].

أي النّزاع فيما فيه شكٌّ وريبةٌ، وهذا ما أشار إليه ابن منظور فيما تقدّم، وقد ورد هذا المصطلح في القرآن العظيم وبالأخص السّبع الطّوال، بهذا السّياق: ﴿ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[4].

وخلاصة القّول، إنّ هذه الألفاظ المذكورة سابقا، هي التي سنعتمدها في بحثنا، لأنّها تدور في فلك مفهوم مصطلح الحجاج مع العلم، أنّ هناك ألفاظا أخرى، لكنّها بعيدة نسبيا واكتفينا فقط بالألفاظ المذكورة، لأنّها الأقرب دلاليا من المفهوم المدروس.

6 - طرائق تداول القدامى للألفاظ القرآنية:

لقد كان البحث والتّنقيب في دلالة الألفاظ القرآنية منزلة مهمّة في الدراسات القرآنية القديمة وأعلاها شأوا، ومردّ ذلك إلى بواعث علمية ودينية، فمن الأسباب الدّينية، ما أورده السّيوطي في كتابه" الإتقان في علوم القرآن" قائلا:" وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعا من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب، كان له بكل حرف عشر حسنات، والمراد بإعرابه، معرفة معاني ألفاظه"[5].

---

[1]- أساس البلاغة، مادة/ مري.

[2]- لسان العرب، مادة/مري.

[3]- المفردات في غريب القرآن، مادة/ مري.

[4]- سورة الأنعام: الآية 114.

[5]- الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص.113.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومفاده أنّ إعراب القرآن حتميّة تركيبية في الشّريعة، لأنّ بذلك تقوم معانيه، وذلك درءا للّحن الذي يُحرّف الكلم عن مواضعه، وما اجتهاد القدامى في تعلّم النّحو وأصول العربية إلا رغبة منهم في الحفاظ على هذا الدّستور الإلهي الخالد. ومن الأسباب العلمية ما ذكره الرّاغب الأصفهاني في مقدّمة كتابه، حيث يقول:"أوّل ما يحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن، العلوم اللفظية، تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن"[1].

كما عُقدت لدراسة دلالة الكّلمة في القرآنّ، الكتب المفردة مثل كتب غريب القرآن نحو: كتاب "غريب القرآن وتفسيره، لأبي عبد الرّحمن اليزيدي، وكتاب تفسير غريب القرآن لابن قُتَيْبَة وكتاب مفردات القرآن للرّاغب الأصفهاني"[2].

كما نجد أيضا كتاب "مجاز القرآن" لأبي عُبيدة معمر بن المثنّى، حيث إنّ هذه المصنّفات تحصر دلالة الكلمة القرآنية في ضروب من الدّلالة نتعرّض لأهمّها بصورة مقتضبة.

6-1: الدّلالة المعجمية:

يكون ذلك على وجهين وبطريقتين إجمالا:

أ- "بأن يُذكر مرادف الكّلمة وقد يذكر أيضا أصلها الاشتقاقي، ومفردها إذا كانت جمعا أو مثنى"[3]. وهذه الطّريقة من أكثر الطّرائق جريانا في الكتب السّالفة الذّكر، وخصوصا كتب "الغريب" وفي هذه الحالة يكون الاقتصار على دلالة الكلمة المعجمية، وعدم اعتبار الدّلالة السّياقية والدّلالات الأخرى، فالاقتصار يكون على الجانب المعجمي.

ب- أن تُذكر معانيها المُختلفة إذا كانت من المُشترك" كقول أبي عبيدة بن المثنّى، في تفسير كلمة حَرْدٍ في قوله تعالى: ﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾، فسّروه على ثلاثة أوجه

1- المفردات في غريب القرآن، ص. 3.

2- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص.76.

3- المرجع نفسه، ص.78.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال بعضهم على قصد وقال بعضهم على منع، وقال آخرون على غضب وحقدٍ"[1]. وهـذا الاشتراك له أصل فهناك كلمات لها معاني مختلفة، والسّياق هو الذي يحدّد معناها.

6-2: الدّلالة السياقية:

وذلك أن تكون الكلمة الواحدة ذات وجوه دلالية مختلفة باختلاف السّياقات اللغوية التي ترد فيها، وقد عُولجت مسألة الدّلالة السّياقية نظريا من خلال الكلام على نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:" الذي كرّس علمية شاملة لا جزئية، فنظر إلى بنية اللّغة في مجموعة كلمات لها مدلول معيّن تُوظّف في سياق كلّي يعطيها المعنى أثناء تفاعل علاقاتها اللّغوية"[2]. أي أنّ اللّغة لا تكتسب مدلولاتها إلا في السّياق الكّلي الذي يأخذ معناه في واقعه بذاته وأنّ السّياق هو الذي يكشف لنا عمّا في التّركيب من نسيج مُتشعّب وهـذا المبدأ الذي تأسّست عليه النظرية السّياقية، ورائدها "فيرث" وإن كان لهذه النظرية جذور في تراثنا اللّغوي، نظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني.

6-3: الدّلالة المرجعية:

ونقصد بها" الطّريقة المتّبعة في تفسير الكلمة، بربط دالها مباشرة بالمرجع، دون المرور بالمدلول"[3]. وهي على ضربين:

أ- ضرب يعتمد أسباب النّزول فيُعين مرجع الدّال، انطلاقا من الملابسات التاريخية، التي حفّت بنزول الآية، وهذه هي الطّريقة المُطّردة في كتب التّفاسير.

ب- ضرب يعتمد في تعيين مرجع الدّال تعيينا رمزيا، معتقد المُفسّر الدّيني والسّياسي دون مراعاة لدلالة اللّفظة السّياقية والمعجمية فنجد هذا جليا، عند بعض الشّيعة في التّفسير ؛حيث يؤكّدون أحقية علي بالنّبوة* والخلافة.

---

[1]- أبو عبيدة بن المثنى، مجاز القرآن، تح: محمّد فؤاد سزكين، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر: 1988 م، ص.13.

[2]- صالح بلعيد، التّراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر: 1994 م، ص.246.

[3]- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص.80.

*- النبوّة: القائلون بحقّية علي فيها الغلاة منهم، و بالخلافة المعتدلون منهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واعتمدنا في هذا التّقسيم على كتاب الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية لعبد الله صولة، وإن كان قد ذكر الدّلالتين الرّمزية والحافة إلا أنّنا اكتفينا بالدّلالة المعجمية والسّياقية والمرجعية، لكون مجال دراستنا بين الدّلالة والمعجم، حيث نقوم برصد بعض ألفاظ الحجاج وضبطها المعجمي، ثم تحديد السّياق الذي وردت فيه وهذا كلّه يوحي لنا بالخصوصية الدّلالية للألفاظ في القرآن العظيم، حيث إنّ هذا الأخير انطلق من الألفاظ بدلالتها المعروفة المألوفة، إلا أنّ هنالك ألفاظا انتقلت دلاليا من المعاني، التي كانت لها في اللّسان العربي إلى آفاق جديدة، ومفاهيم تنسجم مع هذه الرّؤية الشمولية، الرّبانية، التي جاءت من الله- عزّ وجلّ- لذلك فالألفاظ وإن كانت عربية توجد في المعاجم اللّغوية، إلا أنّ درسها الحقيقي ينبغي أن يتركّز على استعمالاتها في القرآن الكريم، لتُستخلص الخصوصيات الدّلالية لهذه الألفاظ.

ونحن في هذا البحث يهمّنا مادة (ح.ج.ج) التي تواترت في القرآن الكريم إلى جانب مشتقاتها التي انحرفت دلاليا عن الجذر المفهومي للحجاج، الذي نود أن نسلّط الضوء عليه مثلا: الحجّ الذي هو التّوجه والقصد إلى بيت الله الحرام والشّعيرة الإسلامية المعروفة فعلى الرّغم من اشتراك الحجاج والحج في الجذر الثلاثي فالأوّل يعني الجدل والخصومة والنّزاع كما أسهبنا الحديث عنه فيما سبق، بينما الحج هو الشّعيرة الإسلامية والقصد إلى بيت الله الحرام، وعليه فإنّ الحج لا يدخل في الإحصاء وسيأتي عنه الكلام لاحقا في الجانب التّطبيقي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الباب الثاني:

معـــاني ألفاظ الحجاج

وسياقاتها المختلفة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول:

دراســـة مادة (حجج)

وسياقاتها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نتعرض في هذا الجانب التطبيقي من البحث إلى المستوى الإحصائي والتصنيفي لمادة (حجج) ثم نضبط حجم الورود وزمنه، وما لذلك من دلالات، ثم نتعرض للصيّغ الصرفية التي ورد بها في (الماضي، المضارع، الاسم) ودراسة سياقاتها الدلالية إلى جانب حقله الدِّلالي، ذلك برصد مفردات مستعملة في القرآن الكريم مردفات، أو أنها تتشابه في وجه من الوجوه مع مصطلح الحجاج، ومن هذه الألفاظ نذكر: الجدل والمراء والنزاع والخصام والبرهان؛ ثم نبيّن حجم ورودها وكذا دراسة سياقاتها الدِّلالية المختلفة.

للقرآن الكريم معان لا يمكن أن يقف عندها المفسّر، لأن له أسباب النزول فلا بدّ من معرفتها، وفيه المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وفيه الغريب إلى غير ذلك من الظواهر التي عدّت عماد إعجازه، ولهذا كله ارتأينا اعتماد بعض التفاسير، كتفسير التحرير والتنوير لمحمد الطّاهر بن عاشور خاصة، وهو تفسير ترجّح فيه كفّة الجانب اللّغوي والبلاغي كفّة الجوانب الأخرى، قس على ذلك معاصرتنا إياه، فتفسيره المذكور سابقا خلاصة للتفاسير القديمة وفيه فضل عليها بما اجتهد فيه وأضاف، حيث قال- رحمه الله- مباهيا به:" إني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير ...ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن ممّا في التفاسير"[1].

لكن هذا لا يعني أننا اقتصرنا على هذا التّفسير دون غيره فقد اعتمدنا، تفسير الكشاف للزمخشري فهو يراعي كثيرا من الجوانب اللّغوية والإعرابية والبلاغية وإن كان لا يخلو من اعتزال، قال مفتخرا[2]:

إنَ التَفَاسِيرَ في الدُّنيا بلا عـــددٍ ... وليسَ فيها لا عمري مثلَ كشَّافي
إنْ كنتَ تَبْغِي الهُدَى فَلْزَمْ قِراءتهُ ... فالجهلُ كَالدّاءِ والكشَّافُ كالشَّافِي

واعتمدنا، فضلا عما سبق، تفاسير أخرى لا يسعنا المقام هنا لسردها؛ حيث نستعين بها كلما اقتضى الأمر إلى التّحري والدّقة، لكن الغالب هما تفسيرا الكشّاف والتحرير والتنوير بالدرجة الأولى لاعتمادهما الجانب اللّغوي والبلاغي.

1- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص08.

2- الكشاف، ج1، ص30.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالقرآن الكريم هو أوسع بكثير من معناه عند القدماء مفسرين كانوا أم بلاغيين، فلـن تُحملنا كتب التفاسير هذه على فهم معيّن للقرآن، وإنّما نحن نرمي فحسب إلى توظيف فهم المفسّرين ممّن نطمئن إليهم، لبعض معاني القرآن، وهؤلاء المفسرون يراعـون كثيـرا قواعد اللّغة والإعراب والبلاغة، التي من شأنها أن تسبر غور المعاني القرآنية.

والجدير بالذّكر، أننا نحصر مجال دراستنا في مصطلحات الحجاج وألفاظه في السّبع الطّوال؛ حيث نقوم بالضبط المعجمي، ثم دراسة سياقاتها المختلفة، الأمر الذي دفع بنا إلى الاستعاضة عن المنهج التداولي، لكوننا بصدد إنجاز دراسة مصـطلحية، ولسـنا بصـدد تطبيق آليات الحجاج على النّص القرآني، وإنما يهمنا المصطلح ذاته، وتواتره في (السبع الطوال) إلى جانب حقله الدِّلالي. فدراستنا أقرب إلى الدراسة المصطلحية مـن التداوليـة ولهذا السبب حصرنا دراستنا بين الدلالة والمعجم، فتحديد مجال الدّراسة هو الذي يحـدد نوع الدّارسة.

1- المستوى الإحصائي والتصنيفي لمادة (ح.ج.ج):

إذا دقّقنا نظرنا في مادة (ح.ج.ج) في السّبع الطّوال نجدها مذكورة في خمسة عشـر موضعا بصرف النظر عن بعض المشتقات الدالة على مفاهيم أخرى، ونقصد الحجّ، الذي هو القصد والتّوجه إلى بيت الله الحرام. وعليه فإن هذا المشتق لم ندخله فـي الإحصـاء نظرا لتباينه الفقهي الشاسع مع مشتقات الجذر المفهومي للحجاج، الذي يدلّ على النـزاع والجدال والمخاصمة.

يجدر بنا في هذا المقام أن نتلمّس كلّ ما احتواه سياق كل موضع (شـاهد)، حيـث نركّز على الشّاهد (مادة حجج)، لكن هذا لا يعني أنّنا نهمل العناصر الأخرى التي تساعد على الإفضاء على الدّلالة الصّحيحة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ- مادة (حجج) وسياقاتها المختلفة:

الموضع الأوّل:

قال تعالى:﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[1].

السّياق البعيد (الأوسع) يبدأ من قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[2]. ثم يمتدّ إلى آيات كثيرة في سورة البقرة، كلّه في قصة بني إسرائيل وبيان أحوالهم ووصف أخلاقهم وفضح بواطنهم وتحذير المسلمين من شرورهم، (وَإِذَا لَقُوا) الأظهر" أنّ الضمير في (لَقُوا) عائد على بني إسرائيل على نسق الضّمائر السّابقة"[3]. وما بعده أنّ الضّمير المرفوع بـ:(قَالُوا) عائد عليهم باعتبار فريق منهم وهم الذين أظهروا الإيمان نفاقا أو تفاديا من مرّ المقارعة والمحاجّة بقرينة قوله(آمَنَّا). (وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ) " الذين لم ينافقوا (إِلَى بَعْضٍ) الذين نافقوا"[4]. فهو معطوف على (لَقُوا) وهو المقصود من الحالية، فضمير (بَعْضُهُمْ) راجع إلى ما رجع إليه (لَقُوا) وهم عموم اليهود.

وقوله: (أَتُحَدِّثُونَهُمْ) استفهام للإنكار أو التقرير أو التوبيخ، قرينة أن المقام دلّ على أنهم جرى بينهم حديث فيما ينزل من القرآن، فاضحا أحوال أسلافهم ومثالب سيرتهم مع أنبيائهم وشريعتهم.

وجملة (بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) أي بما قضى الله به من أحوال ومصائب " وأصل الفتح في كلام العرب النّصر والقضاء والحكم"[5]. وعليه، فإن الفتح بمعنى القضاء أي حُكِم عليكم

---

[1]- سورة البقرة: الآية 76.

[2]- سورة البقرة: الآية 40.

[3]- التحرير والتنوير، ج1، ص. 56.

[4]- الكشّاف، ج1، ص. 56.

[5]- عبد المنعم (أحمد بن ثعيلب)، فتح الرّحمن في تفسير القرآن، ج1، ط1، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتوزيع، القاهرة، مصر:1995م، ص.20.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من العذاب؛ ذلك "أن أناسا من اليهود أسلموا ثم نافقوا، فكانوا يحدّثون المؤمنين من العرب بما عذّب به آباؤهم"[1].

وقوله (لِيُحَاجُّوكُمْ) ليحتّجوا عليكم بما أنزل ربّكم في كتابه "ولام التعليل لكنها مستعملة في التعقيب مجازا أو ترشيحا لاستعمال الاستفهام في الإنكار أو التقرير مجازا"[2]. فالاستفهام هنا استعمل في الإنكار أو التّقرير مجازا، لأن طلب العلم يستلزم الإقرار والمقرر عليه تقتضي الإنكار، إذ كيف يسعى أحد في إيجاد شيء تقوم عليه الحجّة؟ ولفظ المحاجّة هاهنا وارد على لسان اليهود، لأنهم ألفوها، وأفنوا فيها أعمارهم، بدل القيام بأمر الله سبحانه وتعالى. وليحاجوكم "تتعلق ب(أَتُحَدِّثُونَهُمْ) وهي لام كي على تجوز، لأنّ النّاشئة عن شيء وإن لم يقصد كالعلة وكونها للصّيرورة"[3] وكل هذا بيان على نفاق اليهود وكذا فجور آبائهم وعلمائهم إذ يحرّفون الكلم عن مواضعه.

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[4].

والسّياق البعيد يبدأ من قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[5]. **ويمتد إلى قوله تعالى:** ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[6]. استئناف عن قوله: ﴿قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[7].

---

[1]- الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدّراية في علم التفسير، ج1، تح: سيد إبراهيم، ط1 دار الحديث، مصر:1993م، ص102.

[2]- التحرير والتنوير، ج1، ص57.

[3]- أبو حيان الأندلسي، النهر المادّ من البحر المحيط، تح: عمر الأسعد، ج1، ط1، دار الجيل، بيروت لبنان: 1995م، ص151.

[4]- سورة البقرة: الآية 139.

[5]- سورة البقرة: الآية 124.

[6]- سورة البقرة: الآية 134.

[7]- سورة البقرة: الآية 136.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(أَتُحَاجُّونَنَا) خطاب لأهل الكتاب والاستفهام للتعجب والتوبيخ، والمعنى أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النّبي من العرب دونكم، ومعنى المحاجة في الله "الجدل في شؤونه بدلالة الاقتضاء، إذ لا محاجة في الذات"[1]. ولعل الأمر الذي حمل أهل الكتاب على المحاجة مع المؤمنين هو نسخ شريعتهم.

لقد وردت المحاجّة في هذا الموضع بصيغة المضارع وبأسلوب الاستفهام الإنكاري تشنيعا على اليهود والنصارى في مجادلتهم بالباطل للرسول(ص)، وقد عبّر القرآن عن مجادلتهم بالفعل المضارع الدّال على التجدد والاستمرار، ليتجلى بذلك أن مجادلتهم للرسول (ص) بالباطل متجدّدة ومستمرة في كل زمان ومكان، وهذا السياق نفسه ما ذهب إليه الألوسي قائلا:" إن التّعبير بالمضارع للحكاية واستحضار الصورة وللدّلالة على التجدد والاستمرار"[2].

أما قوله: (هُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) أي أنّنا نشترك جميعا في أنّنا عباده فهو ربّنا يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده، وجملة (وهُوَ رَبُّنَا) "حالية أي كيف تحاجّوننا في هذه الحال المعروفة التي لا تقبل الشّك"[3]. ومعناه كيف بلغت بكم الوقاحة إلى أن تحاجّونا وتجادلوننا في إبطال دعوة الإسلام بلا دليل سوى زعمكم أن الله اختصّكم بالفضيلة، مع أن الله ربّنا وربّكم وكلٌ مجازى حسب عمله.

أما قوله (وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ)، "هي عطف على الحال ارتقاء في إبطال مجادلتهم"[4]. ويعني أن العمل هو أساس الأمر وبه العبرة، كما أن لكم أعمالا يعتبرها الله في إعطاء الكرامة، فنحن كذلك.

وجملة (وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ) "عطف آخر على جملة الحال لإظهار أن المسلمين أحقّ بإفاضة الخير"[5]، أي نحن أقرب من رضى الله منكم إليه وأقرب، وأحقّ بأن تكون النّبوة

---

[1]- التحرير والتنوير، ج1، ص 145.

[2]- الألوسي البغدادي (أبي الفضل شهاب الدين)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج9، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان: 1975م، ص. 89

[3]- التحرير والتنوير، ج1، ص 146.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فينا، لأننا أهل الكتاب، والعرب عبدة الأوثان.وهذا السياق نفسه الذي ذهب إليه الزمخشري قائلا:"أي نحن له موحّدون نخلصه بالإيمان فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل إخلاصه لكرامته بالنبوّة، وكانوا يقولون: نحن أحق بأن تكون النبوّة فينا"[1].

والسياق العام للآية هو: قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى أتجادلوننا في دينه والقرب منه، والحظوة لديه سبحانه والربّ واحد، وكل مجازى بعمله، والله عادل لا يظلم عنده أحد.

الموضع الثالث:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2].

وقوله:(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ) أي من أي بلد خرجت للسّفر، فهو "عطف على الجملة التي قبلها وأعيد لفظ الجملة السالفة ليبني عليه التعليل"[3]. ويعني الشيخ الطّاهر بن عاشور بالجملة السابقة، قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[4]. فقد تكررت أو بالأحرى تواترت مرتين في السياق نفسه للتأكيد على وجوب التّوجه إلى القبلة ويؤكّد ذلك بصيغة الأمر (فَوَلِّ) التي تفيد الوجوب، وجملة (وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أي حيث كنت، وأين توجّهت من مشارق الأرض ومغاربها فولِّ وجهك إلى القبلة.

وقوله:(لِئَلاّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) نفي أن يكون لأحد خصومة وجدل ودعوى باطلة، هو علّة لقوله:(فَوَلُّوا) الدّال على طلب الفعل وامتثاله، أي شرّعت لكم ذلك، لندحض حجّة الأمم عليكم، والحجّة في كلام العرب ما يقصد به إثبات المخالف؛ حيث لا يجد منه تقصّيا، ولذلك يقال للذي غلب مخالفة بحجّته، قد غلب، وأمّا

---

[1]- الكشّاف، ج1، ص. 196.

[2]- سورة البقرة: الآية 150.

[3]- التحرير والتنوير، ج2، ص. 46.

[4]- سورة البقرة: الآية 149.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاحتجاج فهو إتيان المحتجّ، بما يظنّه حجّة ولو مغالطة، فالحجّة لا تطلق حقيقة إلا على البرهان والدّليل الناهض أما إطلاقها على الشبهة فمجاز، لأنها تورد في صورة الحجّة"[1] حيث نفى الله أن يكون لأحد حجّة على النبي وأصحابه في استقبالهم للقبلة. و"موضع إلا هاهنا ليس بموضع استثناء، إنما هو موضع واو الموالاة ومجازها: لئلا يكون للناس عليكم حجّة والذين ظلموا قال الأعشى:[2]

إلاّ كخَارجةَ المُكلّفِ نَفْسَهُ وابْنَى قَبِيصةَ أنْ أَغِيبَ وَتَشْهَدَا

وجملة (فَلاَ تَخْشَوْهُمْ) أي فلا تخافوا مزاعمهم ومطاعنهم في قبلتكم، فإنهم لا يضرّوكم ومثلهم كناطح صخرة ليوهنها، وما ضرّ إلاّ نفسه، وقوله(وَاخْشَوْنِي)أي فارهبوني ولا تخالفوا أمري، وما رأيته مصلحة لكم وفي هذا المعنى "تحقير لشأنهم وأمر بإطراح أمرهم ومراعاة أمره سبحانه وتعالى"[3]. والواجب على المرء أن يضع نصب عينيه خشية الله ويستحضرها في كلّ أفعاله، ويعلم أنّه ليس في أيدي الخلق شيء البتّة.

وقوله: (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) عطف على (وَلأُتِمَّ) أي أمرتكم بذلك رجاء امتثالكم، فيحصل الاهتداء منكم إلى الحقّ "وحرف لعل في قوله (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) مجاز في لازم مع الرجاء"[4]

والآية في مجملها خطاب صريح على وجوب التوجّه إلى القبلة، وضرورة الامتثال ولا حجّة لأحد بعد ذلك أي بعد تبيّن الحق.

الموضع الرابع:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

---

[1]- التحرير والتنوير، ج2، ص. 46.

[2]- معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ج1، ص. 60-61.

[3]- الثعالبي (عبد الرحمن)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، تح: عمّار الطّالبي المؤسسة الوطنية للكتاب: دت، ص. 147.

[4]- التحرير والتنوير، ج2، ص. 46.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

(أَلَمْ تَرَ) ورد الفعل هاهنا ماضيا لكني أشير في اللاحق إلى أن الملك الذي كان في عهد إبراهيم عليه السّلام بدلالة قوله :(أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ)؛ حيث قال السيوطي:"والمراد نمرود لشهرة ذلك، لأنه المرسل إليه قيل: وقد ذكر الله فرعون في القرآن باسمه ولم يسمِّ نمرود، لأن فرعون كان أذكى منه، كما يؤخذ من أجوبته لموسى عليه السّلام، ونمرود كان بليدا"[2].

و(أَلَمْ تَرَ) هو استفهام للتّنبيه، قال الفرّاء:" وهذه ألف التّوقيف وفي الكلام معنى التعجّب أي أعجبوا له"[3]، علما أن المخاطب بهذا التّنبيه والتّعجيب هم سائر العقلاء وذوي الفِطَر السّليمة، وعلى رأسهم رسول الله (ص)، الذي أنزل عليه القرآن، ولا شكّ أن هذا تحكيم لهم فيه. ويرى صاحب التحرير والتنوير أنه:"مجازي متضمّن معنى التّعجيب"[4]. والهمزة لإنكار النّفي وتقرير المنفى، كذلك تفعل العرب:"إذا أرادت التّعجيب من رجل في بعض ما أنكرت من فعله"[5].

وقوله: (إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ)، ومعنى "حاجّ خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ولا يعرف لحاجّ في الاستعمال فعل مجرّد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أنّ الحجّة في كلام العرب البرهان المصدّق للدعوى مع أنّ حاجّ لا يستعمل غالبا إلاّ في معنى المخاصمة...وأن الأغلب أنّه يفيد الخِصَام بباطل"[6]. أي أن المحاجّة هي المغالطة والمكابرة، وهي إحدى السّبل التي ينتهجها أهل الكفر والباطل و(الذي) هو نمرود بن كنعان "وهو أوّل من تجبّر وادّعى

---

[1]- سورة البقرة: الآية 258.

[2]- الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 382-383.

[3]- الفرّاء (أبو زكريا يحيى بن زياد)، معاني القرآن، ج1، عالم الكتب، بيروت:1980 م، ص 275-276

[4]- التحرير والتنوير، ج3، ص31.

[5]- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، ص. 23.

[6]- التحرير والتنوير، ج3، ص. 31.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الربوبية...وإنما أطلق على ما وقع لفظ المحاجّة وإن كانت مجادلته بالباطل...واختلف في وقتها قيل عند كسر الأصنام قبل إلقائه في النّار وقيل بعد إلقائه في النّار"[1].

وقوله(أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ)، أن الضّمير عائد إلى ذلك الإنسان الذي حاجّ إبـراهيم ألا وهو نمرود بن كنعان" وهو تعليل حذفت منه لام التّعليل"[2].

وجملة (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ)، "ظرف لحاجّ وجوّز أن يكون بدلا من أتاه بناء على القـول الذي علمت"[3].

وقوله: (قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ)، فيـه دليل على جواز انتقال المجادل من حجّة لأخرى أوضح منها، أي أمره سـيّدنا إبـراهيم الخليل بأن يأتيَ بالشمس من المغرب، وهذا ما لا يمكن تحقيقه، ثم أردفه بقوله: (فَبُهِـتَ الَّذِي كَفَرَ) أي غُلب وصار مبهوتا، منقطعا عن الكلام، متحيّرا لاستيلاء الحجّة عليه، ولا يجد مقالا فسكت وهو فعل ماض مبني للمجهول، وأخيرا جاء ردّ من القرآن فـي قولـه (وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) أي لا يهديهم إلى مناهج الحق كما هدى أولياءه ولا إلـى طريق الجنّة. والآية في مجملها دليل على جواز المجادلة والمنـاظرة لإثبـات العقائـد والقرآن حافل بذلك، أما ما نهى عنه من الجدال فهو جدال المكابرة والتعصّب وتـرويج الباطل والخطأ.

الموضع الخامس:

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِـيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَـدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللَّـهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَـادِ﴾[4].

(فَإِنْ حَاجُّوكَ) أي فإن جادلوك ونازعوك في الدّين، وتعنّتوا بالأقاويل المزوّرة، ثـم أجابهم بقوله: (فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ)، "والمحاجة مفاعلة ولم يجـئ فعلهـا إلا بصـيغة

---

[1]- روح المعاني، ج3، ص. 15.

[2]- التحرير والتنوير، ج3، ص. 32.

[3]- روح المعاني، ج3، ص. 16.

[4]- سورة آل عمران: الآية 20.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفاعلة ومعنى المحاجّة المخاصمة وأكثر استعمال فعل حاجّ في معنى المخاصمة بالباطل"[1].

والمعنى فإن خاصموك خصام مكابرة بالباطل (فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ) أي أخلصت نفسي لله وحده وخضعت بقلبي وقالبي وجميع جوارحي، وخصّ الوجه دون غيره من الجوارح الأخرى؛ لأن الوجه أكرم جوارح ابن آدم وهو جامع المحاسن عند العرب بمعنى أن دين التوحيد هو الدّين الذي ثبت عندكم، فلا مجال للجدال.

(وَمَنِ اتَّبَعَنِ)،"عطف على التّاء في أسلمت...ويجوز أن تكون الواو، وبمعنى مع فيكون مفعولا معه"[2].

(وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ)، "معطوف على جملة الشّرط المفرّعة على ما قبلها فيدخل المعطوف في التفريع...والاستفهام مستعمل في الاستبطاء والتّحضيض وجيء بصيغة الماضي في قوله (أَأَسْلَمْتُمْ) دون أن نقول أتسلمون على خلاف مقتضى الظّاهر للتنبيه على أنه يرجو تحقيق إسلامهم حتى يكون كالحاصل في الماضي"[3]. بينما الفخر الرّازي يقول في موضع الاستفهام (أَأَسْلَمْتُمْ):" استفهام في معرض التقرير والمقصود منه الأمر.قال النحويون:إنما جاء بالأمر في صورة الاستفهام؛ لأنّه بمنزلته في طلب الفعل والاستدعاء إليه"[4].

ولعلّ سبب التّعبير عن معنى الأمر بلفظ الاستفهام فائدة زائدة وهي التعبير بكون المخاطب معاندا بعيدا عن الحق ويعني أنه قد آتاكم من البيّنات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة، فهل أسلمتم أم أنتم بعد هذا على ضلالكم.

1- التحرير والتنوير، ج3، ص. 200.

2- الكشّاف، ج1، ص. 341.

3- التحرير والتنوير، ج3، ص. 202.

4- الرّازي (فخر الدين ابن ضياء الدين)، تفسير الفخر الرّازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب،ج7 ط1، در الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: 1981 م، ص. 230.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا) معناه فإن التزموا النّزول إلى التّحقيق، بمعنى أسلمت وجهي لله فقد اهتدوا ولم يبق إلا أن يتّبعوك، لتلقي ما تبلّغهم عن الله، لأن ذلك أوّل معاني إسلام الوجه.

وجملة (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ) أي إن أعرضوا عن قولك لم يضرّوك؛ لأنك رسول من الله وما عليك إلا البلاغ "فالبلاغ مصدر بلغ بتخفيف عين الفعل"[1].

وقوله: (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين، أي مطّلع عليهم أتمّ الاطّلاع، فهو الذي يتولّى جزاءهم وهو يعلم أنّك بلّغت ما أمرت به.

والآية في مجملها بيان للسّبب الحقيقي في اختلاف أهل الكتاب فيما بينهم وخلافهم مع غيرهم من المسلمين وأنه مبني أساسا على العناد، وإيتاء المخالفة وإتباع الأهواء وإلا فما جاء من العلم من الله غير كاف في تبيين الهدى والحق لمن كان راغبا فيه باحثا عنه وعلى هذا تكون محاجتهم إصرارا وعنادا عن قبول الحقّ.

الموضع السّادس:

قال تعالى:﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2].

(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ) تفريع على قوله(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) والمعنى فمن جادلك يا محمد في المسيح عيسى بن مريم وهم نصارى نجران، جاءوا إلى النبي (ص) يكلّمونه في شأن عيسى عليه السّلام، إلاّ أنه مصوغ بصيغة تعمّ كل مُحاجٍ في عيسى عليه السلام، ممّن كانوا في عهده.

وقوله (فيه) يحتمل أن يعود على عيسى عليه السلام ويحتمل عوده على الحق، وهو احتمال ينبئ إلى التداخل بين الحق وبين حقيقة عيسى عليه السلام.

---

[1]- الثعالبي (عبد الرحمن)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص. 304.

[2]- سورة آل عمران: الآية 61.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجملة:(مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ) أي من البيّنات الموجبة للعلم، والأدلة الساطعة بأنه عبد الله ورسوله. وقوله (قُلْ تَعَالَـوْا) أي هَلُمّوا واقبلوا، وهو "اسم فعل لطلب القدوم وهو في الأصل أمر من تعالى، يتعالى إذا قصد العلو، فكأنهم أرادوا به في الأصل أمرا بالصّعود إلى مكان عال تشريفا للمدعو، ثم شاع حتى صار لمطلق الأمر بالقدوم أو الحضور وأجريت عليه أحوال اسم الفعل فهو مبني على فتح آخره"[1].

وهذا المذهب نفسه ما ذهب إليه الألوسي قائلا:"تعالوا أقبلوا بالرأي والعزيمة وأصله طلب الإقبال إلى مكان مرتفع ثم توسّع فيه. فاستعمل في مجرّد طلب المجيء "[2]. وتعالوا تفاعلوا من العلو، ذلك من باب تحسين الأدب مع المدعو وتشريفا له،"وأصله تعاليوا؛ لأنه تفاعلوا من العلو. فاستثقلت الضمة على الياء، فسكنت ثمّ حذفت لاجتماع الساكنين وأصله العلو والارتفاع فمعنى تعالى ارتفع إلا أنّه كثر في الاستعمال حتى صار لكل مجيء وصار بمنزلة هلُمَّ"[3].

وقوله:(نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ)، أي يَدْع كل منّا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة، أي نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم "والبهلة بالفتح والضم، اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك أبْهَلَهُ إذا أهمله...ثم استعمل في كلّ دعاء يجتهد فيه"[4].

وفي هذا السياق قال الألوسي:"فالافتعال هنا بمعنى المفاعلة وافتعل وتفاعل... والأصل في البهلة بالضم والفتح فيه...اللّعنة والدعاء بها ثم شاعت في مطلق الدعاء كما يقال: فلان يبتهل إلى الله تعالى في حاجته"[5].

وعليه، فإن الابتهال مشتق من البهل وهو الدعاء باللّعنة ويطلق على الاجتهاد في الدعاء مطلقا؛ لأن الدّاعي باللّعنة يجتهد في دعائه ثمّ توسّع فيه، فأصبح يطلق على

---

[1]- التحرير والتنوير، ج3، ص. 264-265.

[2]- روح المعاني، ج3، ص. 187.

[3]- الرّازي، تفسير الفخر الرّازي، ج8، ص. 89.

[4]- الكشّاف، ج1، ص. 361.

[5]- روح المعاني، ج3، ص. 188.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاجتهاد في الدعاء وهذا هو المشهور. ومعنى ذلك فإن استمرّوا على محاجتهم إيّاك مكابرة في هذا الحقّ أو في شأن عيسى فادعهم إلى المباهلة والملاعنة، ذلك أن تصميمهم على معتقدهم، بعد هذا البيان مكابرة محضة بعد ما جاءك من العلم وبيّنت لهم فلم يبق أوضح ممّا حاججتهم به، فعلمت أنهم إنما يحاجّونك عن مكابرة وقلّة يقين فادعهم إلى المباهلة والملاعنة.

وجملة: (فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ الله عَلَى الْكَاذِبِينَ)، أي أن الكاذبين والمفترين عليك لهم لعنة الله إلى يوم الدّين.

والآية في مجملها ردّ لمن حاجّ الرسول(ص) في شأن عيسى عليه السلام وهم وفد نصارى نجران بعد الذي أنزل عليه من الآيات البيّنات الموجبة للعلم بأنه عبد الله ورسوله.

الموضع السّابع:

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾[1].

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ) خطاب لليهود والنصارى ومن جرى مجراهم كأنه يريد أن يقول يا أهل التّوراة والإنجيل لم تحاجّون أي تجادلون في إبراهيم وتخاصمون وتتازعون فيه ويدّعي كل منكم أنه عليه السلام كان على دينه.

وقوله: (وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ) أي أن اليهود كانوا يقولون: إن إبراهيم كان على ديننا، والنصارى كانوا يقولون كان إبراهيم على ديننا فأبطل الله عليهم ذلك،"بأن التّوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعده، فكيف يعقل أن يكون يهوديا أو نصرانيا"[2].

وهذا التفسير نفسه ما ذهب إليه الثعالبي قائلا:" قال ابن عباس رضي الله عنه، أن هذه الآية نزلت عندما اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله (ص)

---

[1]- سورة آل عمران: الآية 65.

[2]- الرّازي، تفسير الفخر الرّازي، ج8، ص. 97.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتنازعوا عنده فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيا فأنزل الله هذه الآية"[1]. وهنا ينكر الله سبحانه وتعالى على اليهود والنصارى دعواهم بأن إبراهيم وشريعته كانت اليهودية أو النصرانية، فكيف تتنازعون وتجادلون ويزعم كل فريق أنه الأولى وكيف يعقل أن يكون إبراهيم على شريعة التوراة وقد فارق الحياة قبل نزول التوراة بقرون؟! وكيف تزعمون أنه من أتباع الإنجيل والإنجيل نزل بعد موسى الذي أنزلت عليه التوراة بدهر متطاول؟

(أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) "الهمزة داخلة على مقدّر هو المعطوف عليه بالعاطف المذكور على رأي"[2]. أي لا تتفكرون فيما تقولون وتتفوّهون به بل هذا بهت وإفك عظيم.

والآية في مجملها إنكار وتشنيع لليهود والنصارى على ما بدر منهم من تعنّت وتنطّع ويظهر ذلك جليّا في محاجتهم في إبراهيم الخليل عليه السلام، ودعوى كل طائفة منهم أنّه كان منهم.

الموضعين الثامن والتاسع:

قال تعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

(هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ) قال الشوكاني:" الأصل في (ها أنتم) أأنتم أبدلت الهمزة الأولى هاء لأنها أختها، كذا قال أبو عمرو ابن العلاء والأخفش. قال النّحاس: هذا قول حسن، وقيل الهاء للتّنبيه دخلت على الجملة التي بعدها أي ها أنتم هؤلاء الرّجال الحمقى حاججتم"[4].

وأصل الكلام أنتم حاججتم، وإنّما يأتي هذا التّركيب في محل التعجّب والتّنبيه ونحو ذلك، لهذا يؤكّد غالبا باسم الإشارة بعده. وهذا السّياق نفسه ما ذهب إليه الألوسي قائلا:"ها حرف تنبّيه واطّرد دخولها على المبتدأ إذا كان خبره اسم إشارة..وذهب الأخفش أن

---

[1]- الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص. 330 .

[2]- روح المعاني، ج3، ص. 194.

[3]- سورة آل عمران: الآية 66.

[4]- الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية في علم التفسير، ج1، ص. 349.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأصل أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام عنده التعجّب من جهالتهم"[1].

وجملة (حَاجَجْتُمْ) جملة مستأنفة مبنيّة للجملة الأولى، يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وتبيان حماقتكم وقلّة عقولكم أنكم جادلتم وخاصمتم و"(حاججتم) خبر (أنتم) ولك أن تجعل جملة حاججتم حالا هي محل التّعجيب باعتبار ما عطف عليها من قوله: (فَلِمَ تُحَاجُّونَ)، لأن الاستفهام فيه إنكاري فمعناه فلا تحاجّون"[2]. حيث ادّعت اليهود أن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا والنّصارى كان نصرانيا وحاجّوا في ذلك و(ما) في (لم) استفهامية حذفت ألفها، أنكر عليهم دعواهم وبيّن أن اليهودية إنما هي منتسبة لمن أنزل عليهم التوراة والنصرانية لمن أنزل عليهم الإنجيل، وهما إنما أنزل بعد إبراهيم عليه السلام والإلزام واضح"[3]

وقوله: (فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) أي بما نطق به التوراة والإنجيل ولمَ تجادلون فيما ليس لكم علم، وهو أمر إبراهيم عليه السلام، حيث لا ذكر لدينه في كتابكم، فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به ولا رمز له في كتابكم البتة.

وقوله: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) تكميل للحجّة أي أن القرآن الذي هو من عند الله أثبت أنه ملّة إبراهيم، وأنتم لم تهتدوا لذلك؛ لأنكم لا تعلمون أي تجهلون وهو يعلم ما حاججتم فيه.

والآية دليل على منع الجدال بالباطل وإنكار على ما كان يحاجّ فيما لا علم له به فإن اليهود والنصارى يحاجّون في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجّوا فيما لديهم من علم يتعلّق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد (ص) لكان أولى بهم، وإنما تكلّموا فيما لا يعلمون فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم بردّ ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها.

---

[1]- روح المعاني، ج3، ص. 195.

[2]- التحرير والتنوير، ج3، ص. 273.

[3]- أبو حيان الأندلسي، النهر المادّ من البحر المحيط، ج1، ص. 497.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموضع العاشر:

قال تعالى:﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّـهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

إن سياق الآية يبدأ من قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آَمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آَخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2]. ذلك أن الكلام كله في أهل الكتاب وتفصيل أحوالهم وبيان طوائفهم وأباطيلهم.

وقوله: (وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ) يوصينا ربنا سبحانه وتعالى أن لا نطمئن ونصدق إلا لمن آمن بديننا أما من خالفه، فلا نؤمن به وهو " من كلام الطائفة من أهل الكتاب قصدوا به الاحتراس ألا يظنّوا من قولهم آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النّهار أنّه إيمان حق"[3]. فالمعنى ولا تؤمنوا إيمانا حقّا إلا لمن تبع دينكم. فأما محمد فلا تؤمنوا به، لأنه لم يتبع دينكم، أي لا تطمئنوا ولا تظهروا سرّكم وما عندكم لكي لا يؤمنوا به ويحتجّوا به عليكم.

وجملة: (قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ) أي هو الذي يهدي قلوب المؤمنين إلى سبل الإيمان بما أنزله على عبده ورسوله محمد (ص) من الآيات البيّنات والدلائل القاطعات، وإن كتمتم أيّها اليهود ما بأيديكم من الحقّ لدينه في كتابكم، فكيف تحاجّون فيما لا علم لكم به ولا رمز له في كتابكم البتّة.

وقوله: (أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ) أي لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين، فيتعلموه منكم ويساووكم فيه ويمتازوا به عليكم لشدّة الإيمان له أو يحاجّوا به عند ربكم أي يتخذونه حجّة عليكم بما في أيديكم. "وحرف أو للتّقسيم... وبعد أو معطوف على النفي أو على الاستفهام الإنكاري على اختلاف التقديرين...وواو

---

[1]- سورة آل عمران: الآية 73.

[2]- سورة آل عمران: الآية 72.

[3]- التحرير والتنوير، ج3، ص. 280.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجمع في (يحاجّوا) ضمير عائد إلى (أحد) لدلالته على العمــوم فــي ســياق النّفــي أو الإنكار"[1]. معناه، لا تؤمنوا لغير أتباعكم، إن المسلمين يحــاجّوكم يــوم القيامــة بــالحق ويغالبونكم عند الله بالحجّة.

وجملة: (قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّــهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) ردّوا إبطال لما زعمــوه بأوضــح الحجّة ويريد أن يقول إن الهداية والتوفيق بيد الله.

(وَاللَّهُ وَاسِــعٌ عَلِيمٌ) أي أن الله مطّلع على أحوالهم وعليم بما يكتمونــه مــن العلــم وتحريفهم للكلم عن مواضعه.

وهذه الآية في مجملها تنبئ عن خلق قبيح عند اليهود والمتمثّل في احتكارهم للعلــم وكتمان الحقيقة ليتميّزوا بها عن الخلق وهو عكس وظيفة العلم تماما، وخصوصا العلــم الشّرعي الذي يكون فيه التبليغ عن الله عزّ وجلّ، فالعالم مكلّف بنشره وبيانه إلى الخلــق لكن اليهود بعنادهم وتكبّرهم، لا يحبّون أن يطّلع المؤمنون على ما عندهم من العلم خوفــا من أن ينافسوهم في ميدانهم ويقيموا عليهم الحجّة.

الموضع الحادي عشر:

قال تعــالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُــلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

(رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) أي يبشّرون من أطــاع الله واتبــع رضــوانه بــالخيرات وينذرون من خالف أمره وكذّب رسله بالعذاب والعقاب، معنــاه رســلا يبشّــرون أهــل الطّاعات وينذرون أهل المعاصي والخطايا." والأوجه أن ينتصب على المــدح، ويجــوز انتصابه على التّكرير"[3].

وقوله: (لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) فيه تعليــل لقولــه: (مُبَشِّــرِينَ وَمُنْذِرِينَ) أي معذرة يعتذرون بها قائلين: لو أرسلت إلينا رسولا يبيّن لنا شرائعك ويعلّمنا

---

[1]- التحرير والتنوير، ج3، ص.280.

[2]- سورة النساء: الآية 165.

[3]- الكشّاف، ج1، ص.578.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما لم نكن نعلم من أحكامك لقصور عقولنا " و(حجّة) اسم كان وخبرها (للناس) و(على الله) حال من حجّة ويجوز أن يكون الخبر (على الله) والنّاس حال"[1]. أي لا يجرؤ من كفر بي، وعبَد الأنداد وظلّ عن سبيلي إن أردت عقابه يحتّج بهذا القول: لو بُعث إليّ رسول لآمنت، فهنا قطع حجّة كل مبطل ألحد في توحيده وخالف أمره بجميع معاني الحجج القاطعة لتكون لله الحجّة الباطلة عليهم وعلى جميع خلقه، فإن قيل كيف يكون للنّاس على الله حجّة قبل الرسول، وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النّظر فيها موصل إلى المعرفة*، وهذا ما نصّت عليه المعتزلة.

والحجة في هذا السياق هي قطع حجّة كل مبطل، خالف أمر الله عز وجل " والحجّة ما يدلّ على صدق المدّعي وحقّية المعتذر فهي تقتضي عدم المؤاخذة بالذّنب أو التّقصير"[2].

وجملة (بَعْدَ الرُّسُلِ) أي بعد إرسالهم وتبليغ الشريعة على ألسنتهم وهو ظرف لحجّة ويجوز أن يكون صفة لها؛ لأن ظرف الزمان يوصف به المصادر كما يخبر به عنها.

وقوله:(وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) أي لا يغالب في أمر يريده وحكيما في جميع أفعاله.

والسياق العام للآية، أن الله -جلّ ثناؤه- أراد أن يقطع بالرسل احتجاج من يقول: لو بعث إليّ رسول لآمن، والله – عزّ وجلّ- عزيز لا يغلبه شيء ولا حجّة لأحد عليه،حكيم في أفعاله، حيث قطع الحجّة بالرسل حكمة منه، لأنه لو عذّبهم دون إنذارهم على ألسنة الرّسل لكان هنالك إجحافا.

الموضعين الثاني عشر والثالث عشر:

قال تعالى:﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[3].

---

[1]- روح المعاني، ج6، ص. 19.

*- قاعدة المعتزلة في التّحسين والتقبيح العقليين تجرّهم إلى إثبات أحكام الله عزّ وجلّ بمجرد العقل فيوجبون بعقولهم.

[2]- التحرير والتنوير، ج6، ص. 39.

[3]- سورة الأنعام: الآية 80.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ) أي خاصموه أو شرعوا في مغالبته في أمر التوحيد تارة وذلك بإيراد أدلة فاسدة وأخرى بالتهديد والمغالطة.

(قال) وهو ينكر عليهم محاجتهم له عليه السلام مع قصورهم عن تلك المرتبة، وعزّة المطلب وقوة الحجّة وجلائها. ويقول الله تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد وناظروه بشبه من القول إنه قال: (أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ) أي تجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو وقد بصّرني وهداني إلى الحق، وأنا على بيّنة منه فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة؟ فهنا وصف كلامهم بالمحاجّة وصاغها بالاستفهام الإنكاري تشنيعا عليهم وليبيّن لهم أنّهم يحاجّون في أمر هو أعظم وأشرف من أن تطوله عقولهم الهزيلة، بالتشكيك. "والمحاجة مفاعلة متصرّفة من الحجّة وهي الدليل المؤيّد للدّعوى ولا يعرف لهذه المفاعلة فعل مجرّد بمعنى استدلّ بحجّة، وإنما المعروف فعل حجّ إذا غلب في الحجّة، فإن كانت احتجاجا من الجانبين فهي حقيقة وهو الأصل وإن كانت من جانب واحد باعتبار أن محاول الغلبة في الحجّة لا بدّ أن يتلقى من خصمه ما يرد احتجاجه فتحصل المحاولة من الجانبين، فبذلك الاعتبار أطلق على الاحتجاج محاجّة أو المفاعلة فيه للمبالغة"[1].(أَتُحَاجُّونِّي) أي تجادلوني في شأنه تعالى ووحدانيته سبحانه "وقرأ نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان بتخفيف النون ففيه حذف إحدى النونين واختلف في أيّهما المحذوفة فقيل: نون الرفع وهو مذهب سيبويه ورجّح بأن المحاجّة دعت إلى نون مكسورة من أجل الياء ونون الرفع لا تكسر"[2]

وهذا السياق نفسه ما ذهب إليه الطّاهر بن عاشور قائلا:" (أَتُحَاجُّونِّي) بنون واحدة خفيفة وأصله أتحاجونني بنونين فحذفت إحداهما للتخفيف والمحذوفة هي الثانية التي هي نون الوقاية...الأولى نون الإعراب، أما الثانية فهي موطّئة لياء المتكلم، فيجوز حذفها وتخفيفها"[3].

---

[1]- التحرير والتنوير، ج7، ص. 326.
[2]- روح المعاني، ج7، ص. 204.
[3]- التحرير والتنوير، ج7، ص. 327.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجملة (وَقَدْ هَدَانِ)، أي أن الله هداني إلى الحق وإلى إقامة الدليل عليكم، حذفت يــاء المتكلم للتخفيف،وهذه الجملة في "موضع الحال من ضمير المتكلم مؤكّدة للإنكار فإن كونه عليه الصلاة السلام مهديا من جهة الله تعالى ممّا يوجب الكفّ عن محاجته"[1].

وقوله: (وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ) خوّفوه ورهّبوه عليه السلام من أن يصيبه ســوء من جهة الآلهة التي زعموها وعبدوها، فأبطل زعمهم وأنبأهم أنه لا يعبأ ولا يكترث بما أشركوه بالله عزّ وجلّ.

وجملة (إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا) أي لا أخاف ما تشركون به في وقت من الأوقات إلا في وقت مشيئة الله تعالى شيئا من إصابة مكروه لي من جهته.

وقوله: (وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ) أي مولانا العلي العظيم أحاط علما بكل معلوم، أفلا تتذكرون أنها غير قادرة على إضراري "وليس بعجــب ولا مســتبعد أن تكون في علمه إنزال المكروه...فتميّزوا بين الصّحيح والفاسد"[2].

ومعنى ذلك أحاط علمه بجميع الأشياء فلا تخفى عليه خافية، أفلا تتدبّرون فيما بيّنــه لكم، أفلا تعتبرون أن هذه الآلهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها.

والسياق العام للآية، أتراجعونني وتجادلونني في توحيد الله وقد أرشدني إلى معرفته ولا أخاف الأصنام التي لا تبصر ولا تسمع، فأنّى لها أن تضرّ أو تنفع؟!

الموضع الرّابع عشر:

قال تعالى:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[3].

(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا) عطف على جملة (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ) وتلك إشارة إلى ما احتج به إبــراهيم عليه السلام في محاجّة قومه" وأتى باسم إشارة المؤنث، لأن المشار إليه محسوس تعــيّن أن يعتبر في الإشارة لفظ الخبر لا غير"[4]. وهذا نفسه ما ذهــب إليــه الألوســي قــائلا:"

---

[1]- عبد المنعم (أحمد بن ثعيلب)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، ج2، ص. 896.

[2]- الكشّاف، ج2، ص. 40.

[3]- سورة الأنعام: الآية 83.

[4]- التحرير والتنوير، ج7، ص. 334.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتركيب حجّة اصطلاحية منه يحتاج إلى تأمّل وما في اسم الإشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار إليه وهو مبتدأ (حجّتنا) خبره وفي إضافته إلى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى"[1]. وجملة (آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ) أي أرشدناه وعلّمناه إياها في موضع الحال من حجّة "العامل فيه معنى الإشارة أو في محل الرّفع على أنّه خبر ثان أو هو الخبر (حُجَّتُنَا) بدل أو بيان المبتدأ وجوّز أن تكون جملة (آتينا) معترضة أو تفسيرية ولا يخفى بعده. و(إبراهيم) مفعول أوّل لآتينا قُدم على الثاني، لكونه ضميرا (على قومه) متعلّق بحجّتنا أن جعل خبرا لتلك أو بمحذوف إن جعل بدلا لئلا يلزم الفصل بين أجزاء البدل"[2].

أي تلك حجّتنا على قومه أفحمناهم بها بواسطة إبراهيم وإضافة الحجّة إلى اسم الجلالة للتّنويه بشأنها وصحتها. وقوله: (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ) "حال من ضمير الرفع في (آتيناها) أو مستأنفة لبيان أن مثل هذا الإيتاء تفضيل للمؤتى وتكرمة له"[3]. يعني بذلك العلم والحكمة والهداية والسّداد. وجملة (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) أي حكيم في أقواله وأفعاله عليم بمن يهديه ومن يضلّه وإن قامت عليه الحجج والبراهين "وهي مستأنفة بيانيا؛ لأن قوله: (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ) يثير سؤالا يقول لماذا يرفع بعض الناس دون بعض: فأجيب بأن الله يعلم مستحق ذلك ومقدار استحقاقه ويخلق ذلك على حسب تعلّق علمه"[4].

فحكيم بمعنى محكم أي متقن للخلق؛حيث قدّم (حكيم) على (عليم) ليشير إلى أن ذلك الإحكام جارٍ على وفق العلم.

والسياق العام للآية يدور حول الهداية والإرشاد والبرهان الذي علّمناه إبراهيم، فغلب به باطل قومه وعبدة الأصنام من قومه عليه الصلاة والسلام، والله -عزّ وجلّ- يرفع درجات من يشاء من خلقه ويفضله على كثير من خلقه ويمنحه المزيد من نوره وفيض إيمانه وفضله، فلا يفوته الصّواب، ويضع كل شيء في موضعه ويقدّر ذلك ويدبّره بعمله الواسع.

---

[1]- روح المعاني، ج7، ص. 208.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- التحرير والتنوير، ج7، ص. 335.

[4]- المصدر نفسه، ج7، ص. 336.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموضع الخامس عشر:

قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) "جواب عن قولهم (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا) تكملة للجواب السّابق لأنه زيادة في إبطال قولهم...وتقديم المجرور على المبتدأ لإفادة الاختصاص"[2].

أي أن لله البيّنة والحجّة البالغة في هداية من هدى وإضلال من ضلّ، وأن حجّتهم داحضة والحجّة الأمر الذي يدلّ على صدق أحد في دعواه وعلى مصادفة المستدلّ وجه الحقّ و(المبالغة) التي بلغت غاية المتانة والقوة على الإثبات أو بلغ بها صاحبها صحّة دعواه "والمراد بها في المشهور الكتاب والرسول والبيان...كأن يقصد بها إثبات الحكم وتطلبه أو بمعنى الغلبة وهو المشهور"[3].

والحجّة البالغة هي الواصلة إلى ما قصدت لأجله وهو غلب الخصم وإبطال حجّته فهي غاية المقصد في الأمر الذي يحتجّ له.

وجملة (فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) والفاء في قوله: (فلو شاء) فاء التفريع على ظهور حجّة الله تعالى عليهم، فهو "جواب الشرط محذوف أي إذا ظهر أن لا حجّة لكم قل فلله الحجّة"[4].

والمعنى فلو أراد الله سبحانه وتعالى لهدى العالم بأسره وهذا يعني إن كان الأمر كما زعمتم إن أنتم بمشيئة الله فلله الحجّة البالغة عليكم. فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره وهو مع ذلك، يرضى عن المؤمنين يبغض الكافرين وفي هذا المقام يبيّن الله سبحانه وتعالى أنّهم لا حجّة لهم في ذلك وأن الحجّة البالغة له جلا وعلا ولا لهم، ثمّ أوضح أن كل شيء واقع بمشيئته وأنه لو شاء الهداية لهداهم أكتعهم وأبصعهم.

---

[1]- سورة الأنعام: الآية 149.

[2]- التحرير والتنوير، ج8، ص. 151.

[3]- روح المعاني، ج8، ص. 149.

[4]- المصدر نفسه، ج8، الصفحة نفسها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبناء على ما سبق أن ربّنا تقدّست أسماؤه، السلطان المبين والبرهان القاطع الـــدامغ بما أنزل من كتب وما أنزل من رسل وما بثّ من دلالات وما أجرى على يد أنبيائه مـــن معجزات، خوارق العادات تقطع المحجوج، ويزيل الشكّ عمّن يظهر فيها، فحجّته البالغة أفحمت كل محاجج.

وبعد تحليلنا لشواهد مادة (ح،ج،ج) تبيّن لنا أن عددها خمسة عشر شاهدا، وللتوضيح أكثر يجدر بنا أن نستجمعها في الجدول،الذي سنذيّله بجملة من النتائج والتعليقات ثم نبيّن حجم الورود وزمنه وصيغه وما لذلك من دلالات على هذا النحو.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موضع ورود الصيغة	الآيــــة	السورة	رقمها	التعريف المكاني المكي - والمدني
من الفعل الماضي (حاجّ)	(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ)	البقرة	258	مدنية
	(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ)	آل عمران	61	مدنية
	(فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ)	آل عمران	20	مدنية
	(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ)	آل عمران	66	مدنية
	(وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ)	الأنعام	80	مكيّة
من الفعل المضارع (يحاجّ)	(لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ)	البقرة	76	مدنية
	(قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ)	البقرة	139	مدنية
	(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ)	آل عمران	65	مدنية
	(فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ)	آل عمران	66	مدنية
	(أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ)	آل عمران	73	مدنية
	(قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ)	الأنعام	80	مدنية
من الاسم (حجّة)	(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ)	البقرة	150	مدنية
	(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)	النساء	165	مدنية
	(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ)	الأنعام	83	مكيّة
	(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)	الأنعام	149	مكيّة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تذييل وتعقيب:

أولا: مستوى حجم الورود:

ونقصد به مجموع المواضع التي ورد أو تواتر بها مفهومنا المدروس بمختلف صيغه حيث ورد في خمسة عشر موضعا. فسورة آل عمران من بين السور المدنية الأكثر ورودا وتواترا لهذا المفهوم (ستّ مرّات) ثم تليها سورة البقرة (أربع مرّات)، ثم سورة الأنعام من بين السّور المكّية الواردة؛ حيث ورد هذا المفهوم في أربعة مواضع، كما نلمسه أيضا في سورة النّساء في موضع واحد فقط. بينما السّور الأخرى المتبقية من السّبع الطوال وهي المائدة والأنفال والأعراف والتّوبة لم نعثر على مادة حجج، ولعل السبب في ذلك أن السّور الثلاث (البقرة، آل عمران، الأنعام) قد استوعبت مقالات جميع الطوائف المنحرفة أنذلك وهم المشركون وبعض طوائف اليهود والنصارى.

والشّيء الملفت للانتباه أن حجم ورود هذا المفهوم قليل بالمقارنة بمفاهيم أخرى نحو مفاهيم: العلم والإيمان والعبادة والصلاة وهلمّ جرّا، ولعل مرد ذلك حجيّة القرآن في حدّ ذاته فهو مبني على الاحتجاج بالحجّة البالغة القاطعة، في مقابل المحاجّة المذمومة التي اعتمدها المعاندون للرّسالات.

ثانيا: التعريف بالمكاني:

ونقصد به ما كان منه مدنيّا أو مكّيّا وما لذلك من دلالات، فنلاحظ من الجدول السابق أن المواضع التي ورد بها المفهوم مدنيّا أحد عشر موضعا، بينما المكّي ورد في أربعة مواضع فقط ولعل منطق هذا التصنيف ينمّ عن الوضع الفكري والعقدي وما انجرّ عن ذلك من صراعات وخلافات في الفترة المدنية، حيث استمر المشركون والملحدون وطوائف من اليهود والنصارى في العناد والشّقاق.

ثالثا: الأشكال والصيغ الصرفية التي ورد فيها:

ونقصد بها الصيغ الصرفية التي ورد بها هذا المفهوم وما لذلك من دلالات، إذ نلحظ من الجدول السّابق أن الصيغ التي ورد بها هذا المفهوم هو ثلاثة أشكال وصيغ صرفية وهي:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1. الفعل الماضي (حاجّ): ورد في خمسة مواضع وجاءت ملحقة إلـى ضـمير المفـرد والجماعة (حاجّ، حاجّك، حاجه، حاجّوك، حاججتم).

2. الفعل المضارع (يحاجّ): ورد في ستة مواضع وأسند في جميع هـذه الحـالات إلـى ضمير الجماعة. يحاجّوكم (مرّتين)، تحاجّون (مـرتين)، أتحـاجّوني، أتحاجّوننـا وفـي الأخيرتين بصيغة الاستفهام الإنكاري.

واعتمادا على ما سبق نلاحظ أن الفعلين، الماضي والمضارع متقاربان فـي حجـم الورود وإن لم يكونا متساويين، فالفعل الماضي ورد في خمسة مواضع والفعل المضارع في ستة مواضع، بينما الاسم ورد في أربعة مواضع.

والشيء اللافت للانتباه أن الصيغة الفعلية هي الأكثر ورودا أو تواترا، ذلك فيما وقع في القرآن العظيم من الجانب العملي بالجانب النظري، وكثيرا ما حدث هذا في عدد مـن المفاهيم كما غلب الفعل المضارع على الفعل الماضي والاسم، لكونه دالا علـى التجـدّد والاستمرار ليتجلى لنا أن مجادلة الكفار والمعاندين للرسالات والأنبياء متجدّدة ومسـتمرة في كل زمان ومكان، كما يستعل المضارع أيضا للحكاية واستحضار الصّورة.

وقبل أن ننتقل إلى دراسة سياقات ألفاظ الحجاج يجدر بنا أن نشير إلى قضية مهمّـة لفتت انتباهنا ألا وهي: مسألة السياق، حيث بعض هذه الشواهد التي تعرضنا لهـا أنهـا واقعة إمّا في السياق القريب وإما في السياق البعيد الذي أطلقنا عليه السياق الأوسع نحو: ما ورد في سورة آل عمران، حيث ورد هذا المفهوم في الآيات: 61 و65 و66 (مرّتين) أي بين خمس آيات ورد في أربعة مواضع، وكذلك في سورة الأنعام، قد ورد في الآيتين 80 (مرّتين) والآية 83 مرّة واحدة. وهذا ما يخصّ السياق القريـب. والجانـب الثـاني (السياق البعيد) فقد لمسناه في بعض الشّواهد نحو: ما ورد في سورة البقرة كالآيتين 139 و150. وكذا في سورة آل عمران في الآيتين 73 و66 (مرّتين). فهـذا كلـه اسـتئناف وتفريع لما سبق فبعض الآيات القرآنية تمتد سياقاتها إلى حوالي عشرين آية أو تزيد سواء أكان قبليا أم بعديا.

ثم نعرّج إلى ألفاظ الحجاج وندرس سياقاتها المختلفة فنبدأ بالجـدل لكونـه الأقـرب للحجاج ثم الألفاظ الأخرى، وكل منها يدرس على حدة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني:

دراســــة سياقات ألفاظ الحجاج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب - دراسة سياقات ألفاظ الحجاج:

الموضع الأول:

قال تعـــالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَـــا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1] .

(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ) "والتقدير أشهر الحج أشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة فيه قولان: أحدهما لابن مسعود الذي يرى أن الشهر الثالث هو ذو الحجة كله أما الثاني فهو قول ابن عباس الذي يرى بالعشر من ذي الحجة فقط"[2]. ويفهم مـــن هـــذا القول إن وقت الحج أشهر معلومات أي معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم والشّرع لم يأت بخلاف ما عرفوه وإنما جاء مقررا له.

وجملة (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ) أي فمن ألزم نفسه بالتلبية وأداء هذه الشعيرة وأوجب بإحرامه حجا فيه دلالة على لزوم الإحرام بالحج والمضي فيه.

وقوله: (فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) أي من أحـــرم بـــالحج أو العمـــرة فليتجنب الرفث والفسوق والجدال "وقرأ الجمهور بفتح أواخر الكلمات الثلاث المنفية بـــلا على اعتبار (لا) نافية للجنس...والرفث اللغو من الكلام والفحش منـــه، والفســـوق هـــي المعاصي حيث قرن الفسوق بالرفث الذي هو مفسد الحجّ...والجدال مصـــدر جادلـــه إذا خاصمه خصاما شديدا...واختلف بالمراد بالجدل هنا فقيل: السّـــباب والمغاضـــبة وقيـــل: تجادل العرب في اختلافهم في الموقف"[3].

أي من ألزم نفسه بالحج، وجب عليه أن لا يرفث، وقد اختلف أهل التأويل في هـــذا المعنى فقال بعضهم :"هو الإفحاش للمرأة في الكلام...التعريض بذكر الجمـــاع... وقـــت

1- سورة البقرة، الآية: 197.

2- الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص. 188.

3- التحرير والتنوير، ج2، ص. 236.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إتيان النساء والتكلم بذلك للرّجال والنساء... وقال عطاء الرفث ما دون الجماع الرفث الإعرابة،الإيضاح بالجماع"[1].

ونستشف من هذا القول إن الرفث في كلام العرب أصله الإفحاش كما بيّناه فيما مضى ثم استعمل كناية عن الجماع من باب التوسّع في الكلام، لهذا السبب اختلف فيه أهل العلم والشيء نفسه بالنسبة للجدال في الحجّ حيث قال ابن كثير:" أن تماري صاحبك حتى تغضبه، المراء الملاماة حتى تغضب أخاك وصاحبك فنهي الله عن ذلك والجدال في الحجّ السباب والمنازعة"[2]. لقد نهي الله – عز وجل- عن الجدل والمراء في الحج دون النهي عن جدال النّاس بينهم فيما يعنيهم من الأمور، لأن الرسول(ص) أخبر أنه من حجّ ولم يرفث ولم يفسق استحق من الله الثواب.

وقوله: (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ) حثّ على الخير ونهى عن الشر والفسوق والجدال أو بالأحرى عندما نهانا عن إتيان القبيح قولا وفعلا حثّهم على فعل الجميل وأخبرهم أنه عالم به وسيجزيهم عليه بالغ الجزاء يوم القيامة.

وجملة (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) "معطوف على جملة (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ) باعتبار ما فيها من الكناية عن الترغيب في فعل الخير...والتزود إعداد الزاد وهو الطّعام الذي يحمله المسافر وهو تفعّل مشتق من اسم جامد وهو الزّاد"[3].

أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتّقاء القبائح، فإن خير الزّاد اتّقاؤها واستصحاب التّقوى إليها.وقوله: (وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) أي اتّقوا عقابي ونكالي وعذابي من خالفني، ولم يأتمر بأمري يا ذوي العقول والأفهام، "والألباب جمع لبّ وهو العقل واللّب من كل شيء الخالص منه وفعله لبُب، يلُبّ بضم اللام قالوا ليس في كلام العرب فعُل يفعُل في الماضي والمضارع وإلا هذا الفعل"[4]. يعني أن أهل النهي والعقول الراجحة تذعن لله وتخضع له أتمّ الخضوع.

---

[1]- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج2، ص. 263-265.

[2]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص. 356.

[3]- التحرير والتنوير، ج2، ص. 236.

[4]- المرجع نفسه،ج2، الصفحة نفسها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والآية في مجملها تدور حول من ابتغى التلبية عليه أن يتجنب الرفث والفسوق والجدال الذي هو المماراة والاختلاف مع المسلمين، ثم أمرهم وأرشدهم إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها.

الموضع الثاني:

قال تعالى:﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[1].

(وَلا تُجَادِلْ) الخطاب هنا للرّسول (ص) والمراد منه نهي الأمّة عن الخيانة والانتصار لخائن أو الذود عنه أو الالتماس له معذرة واهية." والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجّة فيه وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك ومنه سمي علم قواعد المناظرة والاحتجاج في الفقه ومنه جادل، لأن الخصام يستدعي خصمين وأمّا قولهم جدله فهو بمعنى غلبه في المجادلة فليس فعلا أصليا في الاشتقاق ومصدر المجادلة الجِدالُ... أما الجَدَل بفتحتين فهو اسم مصدر وأصله مشتق من الجِدْلِ وهو الصّرع على الأرض لأن الأرض تسمى الجدالة بفتح الجيم. يقال: جدله فهو مجدول"[2].

وجملة (عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ) أي يخونونها ويظلمون أنفسهم بارتكاب المعاصي والآثام وجعلت خيانة الغير لأنفسهم، لأن وبالها وضررها عائد عليهم، بمعنى أن المعصية خيانة للنفس "والمراد بالموصول (الذين) إمّا السّارق أو أمثاله ومن عاونه على الإثم والخيانة. والخطاب هنا للنبي (ص) وهو المقصود بالنهي، ويختانون هو افتعال دال على التكلّف والمحاولة لقصد المبالغة في الخيانة ومعنى خيانتهم أنفسهم أنهم بارتكاب ما يضرّ بهم كانوا بمنزلة من يخون غيره"[3].

وجملة (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) أي كثير الخيانة مفرطا فيها، وخوّانا صيغة المبالغة تدلّ على ركوب المعاصي والآثام.

---

[1]- سورة النساء، الآية: 107.

[2]- التحرير والتنوير، ج5، ص. 193-194.

[3]- المرجع نفسه، ج5، ص. 193.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والآية في مجملها تدور حول الخطاب الموجّه للرسول (ص) والمراد منه تعليم الأمة بأن لا تنتصر لخائن أو تدافع عنه أو تلتمس له حجّة داحضة أو معذرة واهية، فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين، فالخائض في الخيانة والعاكف على المعاصي والآثام بعيد عن الله، بعيد عن الجنة.

الموضعين الثالث والرابع:

قال تعالى: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾[1].

(هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ) استئناف للآية السابقة (وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ) والمخاطب هنا كل من يصلح للمخاطبة من المسلمين "والهاء للتنبيه في أنتم وأولاء هما مبتدأ وخبر...ويجوز أن يكون (أولاء) اسما موصولا بمعنى الذين (وجَادَلْتُمْ) جملة مبنية لوقوع أولاء خبر كما يجوز أن يكون صلته"[2].

والمجادلة أشد المخاصمة وأصلها من الجدل وهو شدّة الفتل، كما سبق لنا أن أشرنا إلى ذلك في ألفاظ الحجاج.

و(هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ) معناه ها أنتم الذين جادلوا يا معشر من جادل عن بني أبيرق في الحياة الدنيا.

وقوله (فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) معناه أيها المدافعون عن هؤلاء الخائنين أنفسهم وإن دافعت عنهم في عاجل الدنيا فإنهم سيصيرون إلى الآخرة إلى ما لا يدافع عنهم عنده أحد فيما يحلّ بهم من أليم العذاب ونكال العقاب ومعنى ذلك، فمن ذا يخاصم الله عنهم يوم القيامة، ومن ينازعه سبحانه وتعالى عنهم يوم لا يكتمون حديثا ولا يغني عنهم من عذاب الله تعالى شيء.وجملة (أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا) أي من ذا الذي يكون على هؤلاء الخائنين وكيلا يوم القيامة أي ومن يتوكل لهم في خصوم ربهم عنهم يوم القيامة وحافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وعقابه "وأصل معنى الوكيل الشخص الذي

---

[1]- سورة النساء، الآية: 109.

[2]- الكشّاف، ج1، ص. 552.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تُوكل له الأمور وتسند إليه ومعنى الوكيل في هذا المقام هو حافظا ومحاميا من بـــأس الله وانتقامه وسخطه.والمعنى الإجمالي للآية هو أن الله خاطب القوم الذين يتعصّبون لأهــل الريب والمعاصي ولاسيما الذي يعين على خصومة لا يدري أحق أم باطل فهو في سخط الله.

الموضع الخامس:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُـــوهُ وَفِـــي آَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُـــولُ الَّـــذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[1].

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) "عطف جملة ابتدائية على الجملة الابتدائية التي قبلهـــا مـــن قوله: (خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) والضمير المجرور بـــ (من) التبعيضية عائد إلـــى المشركين"[2].وقوله: (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا) ومعنـــى ذلـــك يجيئون ليستمعوا قراءتك ولا تجزى عنهم شيئا، لأن الله جعل على قلوبهم أكّنة، أي أغطية لئلا يفقهوا القرآن. "وأكّنة جمع كِنان بكسر الكاف وأفعلة يتعين في (فِعال) المكسور الفاء إذا كان عينه ولامه مثلين والكنان الغطاء، لأنه يكنّ أكننت الشيء في نفسي بالألف وكننت الشيء إذا غطّيته"[3]. أي جعل الله سبحانه وتعالى على قلوبهم أكّنة أي أغطية "وواحـــدها كِنان ومجازها غطاء. قال عمر بن أبي ربيعة[4]:

أيّنَا بَاتَ ليلـــــــــةً بينَ غُصنينِ يُوبلُ
تَحتَ عينِ كِنانُـــهَا ظِلُّ بُردٍ مُرَحَّـــلُ

(وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا) أي صمما على السّماع النافع لهم مثلها كالبهيمة التي تسمع النداء ولا تدري ما يقال لها.

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 25.

[2]- التحرير والتنوير، ج7، ص. 169.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- مجاز القرآن، ج1، ص. 188.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجملة (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا) أي مهما رأوا من الآيات والدلالات والحجج البيّنات والبراهين لا يؤمنوا بها فلا فهم عندهم ولا إنصاف.

وقوله:(حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ) أي يحاجوك ويناظروك في الحق بالباطل ويخاصمونك وينازعونك "المجادلة مطلق المنازعة وسميت بذلك لما فيها من الشّدة أو، لأن كل واحد من المتجادلين يريد أن يلقي صاحبه أرضا"[1]. ومعنى ذلك حتى إذا صاروا إليك بعد معاينتهم الآيات الدالة على حقيقة ما جئتم به، يجادلونك ويخاصمونك.

وجملة (إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ) أي ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذا من كتب الأوائل ومنقولا عنهم حيث يجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرفات وأكاذيب والأساطير جمع أسطارة وأسطورة مثل أفكوهة وأضحوكة...والإسطارة لغة الخرفات والترهات"[2]. أي ما جاء به الرسول (ص) إلا خرفات مما حكاه السّابقون.

والسياق العام للآية يدور حول الذين يسمعون خطاب النبي (ص) بآذانهم ولا يعون منه شيئا، مثلهم كمثل البهائم التي تسمع النداء ولا تعقل ما المراد منه، أي أنّهم لا ينقادون إلى الحقّ، حيث يقولون للنبي (ص) ما هذا الذي تقوله إلا خرفات ممّا رواه الأوّلون.

الموضع السادس:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[3].

(وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) جملة معطوفة على جملة (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ)، حيث نهى الله – عز وجل- عن الميتة والذّبائح التي كانت قريش تذبحها للأوثان

وقد ذكر ابن كثير في هذه المسألة ثلاثة أقوال، وسنقف عند هذه الأقوال بصورة مقتضبة

1- روح المعاني، ج7، ص. 126.

2- التحرير والتنوير، ج7، ص. 171.

3- سورة الأنعام، الآية: 121.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" فمنهم من قال لا تحلّ هذه الذبيحة بهذه الصفة وسواء متروك التسمية عمدا أو سهوا...والمذهب الثاني في المسألة أنه لا يشترط التسمية بل هي مستحبة، فإن تركت عمدا أو نسيانا لا يضر وهذا مذهب الإمام الشّافعي رحمه الله وأصحابه...والمذهب الثالث في المسألة: إن تركت البسملة على الذبيحة نسيانا لم يضر وإن تركها عمدا لم تحل هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه"[1].

وجملة (وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) " معطوفة على جملة (وَلا تَأْكُلُوا) عطف الخبر على الإنشاء بالواو يغض من منعه بغير الواو"[2].

(وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ) عطف على جملة (وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) أي احذروا جدل أولياء الشياطين ويقصد بالمشركين إبليس وجنوده "والضمير راجع إلى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النّهي...أو إلى الموصول"[3].

أي أن الأكل ممّا لم يذكر اسم الله عليه فسق ولا تتّبعوا وساوس إبليس وجنوده "ويخاصمونكم وينازعوكم بوساوسهم وأباطيل المجوس، والمجادلة إبطال أحكام الإسلام وتحبّب الكفر وشعائره"[4]. وفي هذا المقام إيحاء من الشياطين إلى أوليائهم ومحاجتهم للمسلمين، حيث قالوا للمسلمين: كيف تزعمون أنكم تتّبعون مرضاة الله، فما قتل الله لا تأكلونه وما ذبحتم لأنفسكم تأكلونه؟

وجملة (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) أي من ترك طاعة الله تعالى إلى طاعة غيره واستحلّ الحرام واتبعه في دينه فقد أشرك به تعالى بل آثره عليه سبحانه. ومعنى ذلك إن عدلتم عن أمر الله وشرعه إلى قول غيره، وقدّمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك ولاسيما إن أطعتموهم فيما يجادلونكم فيه، وهو الطعن في الإسلام والشكّ في صحة أحكامه.

ومعنى الآية الإجمالي يدور حول النهي عن أكل الميتة فهي جواب لقول المشركين أتتركون ما قتل الله وتأكلون ما ذبحتم بأنفسكم، فهم يجادلون محمد وأصحابه في تحليل

---

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص. 233-234.

[2]- التحرير والتنوير، ج8، ص. 38.

[3]- الكشّاف، ج2، ص. 58.

[4]- التحرير والتنوير، ج8، ص. 41.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحرام ثم أردف الله – عز وجل- في آخر الآية قوله: إن تابعتم المشركين في تحليل الميتة أو في الخروج عن منهاج الله، فإنكم مثلهم أي مشركون فهو جواب الشرط وتأكيد للخبر.

الموضع السابع:

قال تعالى:﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[1].

(قَالَ قَدْ وَقَعَ رِجْسٌ وَغَضَبٌ) أي حقّ عليكم ووجب أو قد نزل عليكم بمقالتكم هذه من ربّكم رجس وغضب وسخط حيث قدّم (عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) على فاعل الفعل "للاهتمام بتعجيل ذكر المغضوب والغاضب إيقاظا لبصائرهم لعلهم يبادرون بالتوبة لأن المجرورين متعلقان بالفعل...ولو ذكرا بعد الفاعل لتوهم أنهما صفتان له وقدّم المجرور الذي هو ضميرهم على الذي هو وصف ربّهم لأنهم المقصود الأوّل بالفعل"[2].

وجملة (أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) أتحاجونني في هذه الأصنام التي سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة وهي لا تضرّ ولا تنفع ولا جعل الله لكم على عبادتها حجّة ولا دليلا، وهذا ما ذهب إليه الألوسي قائلا:"هو إنكار واستقباح لإنكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك ما كان يعبد آباؤكم من الأصنام والأسماء عبارة عن الأصنام الباطلة"[3].والمجادلة هنا المحاجّة، حيث عبر الله سبحانه وتعالى على الأصنام بأنها أسماء نسبت لها الحقائق التي اعتقدوها ووضعوا وسمّوا والمقلدون (أبناءهم) سمّوا ولم يضعوا ويشترك الفريقان في أنهم يذكرون أسماء لا مسميات لها. وهذا السياق نفسه ما ذهب إليه الطّبري قائلا:"ما جعل الله لكم على عبادتكم

1- سورة الأعراف، الآية: 71.

2- التحرير والتنوير، ج8، ص. 211.

3- روح المعاني، ج8، ص. 159.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إياها من حجّة تحتجّون بها ولا معذرة تعتذرون بها، لأن العبادة لمن ضر ونفع وأثاب على الطاعة وعاقب على المعصية ورزق ومنع"[1].

وقوله: (مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) أي من حجّة ودليل يشهد لمغترياتهم وبطلان ما هم عليه، وهذا تهديد متوجّه إلى التسمية الخالية المشحونة بمزيد من الضلالة والغواية والافتراء "والسلطان الحجّة التي يصدق بها المخالف وسميت سلطانا، لأنها تتسلّط على نفس المعارض وتقنعه ونفي أن تكون الحجّة منزّلة من الله"[2].وجملة (إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ) هذا تهديد ووعيد من إبراهيم لقومه ،لأن وقوع الغضب والرجس عليهم ومكابرتهم واحتجاجهم لما لا حجّة له "ومفعول (انْتَظِرُوا) محذوف دلّ عليه قوله: (رِجْسٌ وَغَضَبٌ) أي فانتظروا عقابا...وهو استئناف بياني، لأن تهديده إياهم يثير سؤالا في نفوسهم أن يقولوا: إذا كنا ننتظر العقاب بماذا يكون حالك فيبيّن أنه ينتظر معهم وهذا مقام أدب مع الله تعالى"[3].

والآية في مجملها بيان لمحاجّة المشركين في الحق الذي أتاهم، وتصدوا له واستعاضوا عنه بالأوثان التي ليست إلا مجرد أسماء لا مسميات لها، ذلك لعجزها وهوانها وليس عندهم من سلطان منزل من السماء ولا برهان يشهد لمغترياتهم الباطلة، ثم يختم الآية بالوعيد جراء تماديهم في فجورهم وعنادهم وشرورهم.

الموضع الثامن:

قال تعالى:﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[4].

(يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ) "حال من (فريقا) فالضمة لفريق باعتبار معناه، لأنه يدلّ على جمع، وصيغة المضارع للحكاية حال المجادلة زيادة في التعجيب منها وقوله: (بَعْدَمَا تَبَيَّنَ) لوم لهم على المجادلة في الخروج الخاص... بعد أن تبيّن أي ظهر أن الله

---

[1]- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج8، ص. 223.

[2]- التحرير والتنوير، ج8، ص. 212.

[3]- المرجع نفسه، ج8، ص. 213.

[4]- سورة الأنفال، الآية: 6.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قدر لهم النّصر"[1]. أي بعد ما تبيّن لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله به، وظهر بعد إعـــلام الرسول (ص) بأنهم ينظرون. وجملة (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُـمْ يَنْظُـرُونَ) "فـي موضع الحال من الضمير المرفوع في (يُجَادِلُونَكَ) أي حالتهم في وقت مجـادلتهم إيـاك تشبه حالتهم لو ساقهم سائق إلى الموت والمراد بالموت الحالة المضادة للحياة وهو معنى تكرهه نفوس البشر (وَهُمْ يَنْظُرُونَ) حال من ضمير (يُسَـاقُونَ)، ومفعـول (يَنْظُـرُونَ) محذوف دلّ عليه قوله: (إِلَى الْمَوْتِ) "[2]وهذا السياق نفسه ما ذهب إليه أحـد المفسـرين المحدثين قائلا: " يشبهون حال من يساق ليقتل، ولعلّ ذلك راجع إلى قلة العدد والعـدّة"[3]. ويفهم من هذا المعنى أنهم مشبهون بالذين يساقون بالعنف أي شبهت حالتهم مـن فـرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة.والآية في مجملها تدور حـول الـذين يجادلون في شريعة الإسلام من بعد ما تبيّن الحق فيها كأنما يساقون إلى الموت من شـدة فزعهم ورعبهم.

ثم ننتقل إلى مادة (ن، ز، ع) ونقوم بتحليل الشواهد وبمنهج الدراسة نفسها.

الموضع الأول:

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَـنْ يُرِيـدُ الْآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

(وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ) عطف على قوله : (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْـبَ) الآية التي جاءت قبلها رأسا[*] وهنا وعدهم الله النّصر بشرط الصّبر والتقوى، أي صـدقكم أيها المؤمنون من أصحاب محمد (ص) بأحد وعده على لسان رسوله محمد(ص).

---

[1]- التحرير والتنوير، ج9، ص. 267.

[2]- التحرير والتنوير، ج9، ص. 268.

[3]- عبد المنعم (أحمد بن ثعيلب)، فتح الرّحمن في تفسير القرآن، ج3، ص. 1200.

[4]- سورة آل عمران، الآية: 152.

[*]- رأسا:اصطلاح وظّفه ابن خلدون في مؤلفه "المقدمة" بمعنى مباشرة، ينظر: المقدمة، ص.202 و253.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوله: (إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ) "نصب على الظرفية لقوله (صَدَقَكُمُ) أي صدقكم الله الوعد حين كنتم تحسونهم بإذنه فإن ذلك الحسّ تحقيق لوعد الله إياهم بالنّصر وإذ فيه للمضيّ وأتى بعدها بالمضارع لإفادة التجدّد أي لحكاية تجدّد الحسّ في الماضي"[1]. ومعنى ذلك تغلبونهم وتقتلونهم بإذنه أي بتسليطه إياكم عليهم.

وجملة (حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ) أي فزعتم وجبنتم عن عدوّكم وتنازعتم في أمر الحرب أو أمره (ص) حين لم تثبتوا هناك وملتم إلى الغنيمة." والمراد من التنازع أنه عليه الصلاة والسلام أمر الرّماة بأن لا يبرحوا عن أماكنهم البتّة وجعل أميرهم عبد الله بن جبير، فلما ظهر المشركون أقبل الرماة عليهم بالرمي الكثير حتى انهزم المشركون، ثم إن الرّماة رأوا نساء المشركين حيث بدت خلاخيلهن فقالوا: الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله بن جبير عهد الرسول إلينا أن لا نبرح عن هذا المكان فأبوا عليه ...وبقي عبد الله بن جبير مع طائفة قليلة دون العشرة إلى أن قتلهم المشركون فهذا هو التنازع"[2]. أي أن أصحاب النبي (ص) لما رأوا هزيمة الكفّار، طمعوا في الغنيمة، فشلوا في أنفسهم عن الثّبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا في الذهاب لطلب الغنيمة أم لا، ثم اشتغلوا بالغنيمة.(وحتّى) " حرف انتهاء وغاية يفيد أن مضمون الجملة التي بعدها غاية لمضمون الجملة التي قبلها، فالمعنى إذ تقتلونهم بتيسير الله ... وحتّى هنا جاره (وإذا) مجرور بها"[3].

والفشل هو الوهن والإعياء، والتنازع التخالف والمراد بالعصيان هنا عصيان أمر الرسول (ص)، وقد رتبت الأفعال الثلاثة على حسب ترتيبها في الحصول، إذا كان الفشل هو ضجر بعض الرماة من ملازمة موقفهم للطّمع في الغنيمة قد حصل أولا فنشأ عنه التنازع بينهم في ملازمة الموقف، وفي اللحاق بالجيش للغنيمة، ونشأ عن التنازع تصميم معظمهم على مفارقة الموقف الذي أمرهم الرسول (ص) بملازمته وعدم الانصراف منه.

---

[1]- التحرير والتنوير، ج4، ص. 127.

[2]- الرّازي، تفسير الفخر الرّازي، ج9، ص. 38.

[3]- التحرير والتنوير، ج4، ص. 127.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجملة (مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِـرَةَ) أي من بعد ما أراكم الظفر منها لكن منكم من طمع في النّهب في جمع الغنائم وهـم الرمـاة الذين غادروا مواقفهم، ولاسيما بعد ما شاهدوا الهزيمة، في حين هناك من ثبت في موقفه "كعبد الله بن جبير أمير الرماة ومن ثبت معه ممثلا لأمر الرسول (ص) حتّـى استشـهد ومن معه"[1]وجملة (ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ) أي ليمتحن صبركم على المصائب وثبـاتكم على الإيمان. وقوله: (وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أي غفر لكـم ذلـك الصّنيع لما علم من ندمكم على فرط منكم من عصيان أمـر رسـول الله (ص)، وأن الله يتفضّل بالعفو على جميع عباده، وأن الابتلاء رحمة كما أن النّصر رحمة، فهـو رؤوف بعباده في كل الأحوال.

والآية في مجملها تدور حول إنجاز الله سبحانه وتعالى بوعده، والمتمثل في تأييده للفئـة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة المشركين ذلك بقدرته، فاندفع المسلمون يوم أحد يقتلـون المشركين ويستأصلونهم استئصالا، إلى أن جبنتم واختلفتم فيما أمرتم به وعصـيتم أمـر الرسول (ص)، ومن ثمّ لاحت بشائر النصر على العدو.

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ) أي من يطع الرسول فقد أطاع الله وعلى أهل التصديق بالحق أن يلتزموا كتاب الله وسنّة نبيه، معناه نتبع كتاب الله ونستنّ بسنّة نبيّه (ص)، أما أولى الأمر فهم الأمراء والعلماء وأهل الفقه والدّين فوجب علينا طاعتهم إذا أمرونا بطاعة الله؛ لا في معصيته، لأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والطاعة في المعروف لا في المعصية. وهذا ما ذهب إليه الزمخشري

---

[1]- روح المعاني، ج4، ص. 89.

[2]- سورة النساء، الآية: 59.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائلا:" والمراد بأولى الأمر أمراء الحق لأن – أمراء الجور- الله ورسوله بريئان منهم، فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم"[1].

وقوله: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) أي إن اختلفتم أنتم وأولوا الأمر منكم في شيء من أمور الدّين فـردّوه إلـى الله ورسوله بمعنى ارجعوا إلى الكتاب والسنّة وهذا ما قال به الطّبري في قوله:" إن اختلفـتم أيّها المؤمنون في شيء من أمر دينكم أنتم فيما بينكم أو أنتم وولاة أمركم، فاشتجرتم أنـتم بينكم أو أنتم وأولوا أمركم فيه... فاتبعوا ما وجدتم... فإن لم تجدوا إلى علم ذلـك فـي كتاب الله سبيلا فأرتادوا معرفة ذلك أيضا من عند الرسول"[2].

ويسير على السياق نفسه الشيخ الطّاهر بن عاشور قائلا:" والتنازع شدة الاخـتلاف وهو تفاعل من النزع أي الأخذ...فأطلق التّنازع على الاختلاف الشـديد علـى طريـق الاستعارة، لأنّ الاختلاف الشديد يشبه التجاذب بين شخصين وغلب ذلـك حتـى سـاوى الحقيقة ...ولفظ (شيء) نكرة متوغّلة في الإبهام فهو في حيّز الشرط يفيد العموم أي فـي كل شيء"[3]. ومعنى ذلك أن الله – عز وجل- أخبرنا بأن كل ما تنازع النّاس فيـه مـن أصول الدّين وفروعه أن تردّ التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، فما حكم بـه الكتـاب والسنّة وشهد الله بالحجّة البالغة فهو الحق وما بعد الحق إلا الضلال، ذلك بردّ الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنّة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم، وعند "عدم النّزاع يعمل بما اتفق عليه وهو الإجماع"[4].

وقوله: (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) أي من لم يتحاكم في محل النّزاع إلـى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر.

وقوله: (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا) أي أن التحاكم إلى كتاب الله وسنّة رسـوله (ص) والرجوع إليهما في فصل النزاع خير وأحسن عاقبة ومآلا وجزاء.

---

[1]- الكشّاف، ج1، ص. 512.

[2]- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص. 150.

[3]- التحرير والتنوير، ج5، ص. 7.

[4]- روح المعاني، ج5، ص. 67.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والآية في مجملها تتضمن حقيقة مؤدّاها أن كل شيء تنازع فيه الناس من أصول الدين وفروعه أن يردّ التّنازع في ذلك إلى كتاب الله وسنّة رسوله (ص). كما لا يجوز التحاكم إلى غيرهما ذلك هو الأصلح والأحسن عاقبة.

الموضع الثالث:

قال تعالى:﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1].

(إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ) "هو مقدّر بأذكر أو بدل من يوم الفرقان أو متعلّق بقوله: (لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)"[2]. أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك. و(في منامك) أي رؤياك، ذلك أن الله –عزّ وجلّ- أراه إيّاهم في رؤيا قليلا فأخبر بذلك أصحابه، فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم "والمنام مصدر ميمي بمعنى النوم ويطلق على زمن الزمن وعلى مكانه ويتعلّق قوله(في منامك) بفعل (يريكُهُمْ)"[3]. أي أراهم الله إياه في منامه قليلا وأخبر النّبي (ص) أصحابه بذلك فكان تثبيتا وحثّا لهم على المواجهة.

ومعنى (وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ) أي لو أنه أراكهم رؤيا مماثلة للحالة التي تبصرها الأعين لدخل قلوب المسلمين الفشل أي إذا حدّثكم النبّي (ص) بما رأى فأراد الله إكرام المسلمين بأن لا يدخل نفوسهم هلع وإن كان النّصر مضمونا لهم والفشل، والمراد بالأمر الخطة التي يجب إتباعها في قتال العدو، وهذا ما ذهب إليه الألوسي قائلا:"(وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأمْرِ) أي في أمر القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار"[4]. أي اختلفتم في الرأي وتفرقت كلمتكم وترجّحتم بين الثبات والفرار.

1- سورة الأنفال، الآية: 43.

2- روح المعاني، ج10، ص. 8.

3- التحرير والتنوير، ج10، ص. 22.

4- روح المعاني، ج10، ص. 8.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوله: (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) أي أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع وهذا ما أشار إليه الزمخشري في قوله:"(وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) أي عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف"[1].

وجملة (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) " تذييل للمنة أي أوحى إلى رسوله بتلك الرؤيا ومعنى (ذَاتِ الصُّدُورِ) الأحوال المصاحبة لضمائر النفوس، فالصدور أطلقت على ما حلّ فيها من النوايا والمضمرات فكلمة (ذات) بمعنى صاحبه وهي مؤنث. ذو أحد الأسماء الستّة فأصل ألفها الواو ووزنها ذَوَتَ انقلبت واوها ألفا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها"[2].

ومعنى ذلك أنه جلّا وعلّا على اطّلاع بما سيكون في هذه الصدور من الجبن والصّبر والفزع ولا تخفى عليه خافية.

والمعنى العام للآية يدور حول الرؤيا التي رآها النبّي (ص) في منامه، حيث رأى فيها أن عدد الكفار قليلا وأخبر بذلك أصحابه فقويت نفوسهم وحرصوا على اللّقاء واجترؤوا على حرب عدوّهم. ذلك لو أراه ربه عدوّه كثيرا لفشل أصحابه وجبنوا وخافوا ولم يقدروا على مواجهة العدو، ولتنازعوا في ذلك لكن الله سلمهم من ذلك بما أراه في منامه من الرؤيا، إنه عليم بما تخفيه الصدور ولا يخفى عليه شيء ممّا تضمر القلوب.

الموضع الرابع:

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) وصّى ربنا جل ثناؤه بطاعته سبحانه وطاعة رسوله والاستدامة على ذلك.

---

[1]- الكشّاف، ج2، ص. 218.

[2]- التحرير والتنوير، ج10، ص.25.

[3]- سورة الأنفال، الآية: 46.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوله: (وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) "وقرئ بتشديد التّاء (فَتَفْشَلُوا) منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي وتدلّ على التقديرين، قراءة من قرأ (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) بالياء والجزم، والريح الدولة، وشبّهت في نفوذ أمرها وتمشّيه بالريح وهبوبها"[1].

وطاعة الله ورسوله تشمل إتباع سائر أحكام القتال وهنا نهى عن التنازع والاختلاف بين المسلمين ودعاهم إلى التفاهم والتشاور ومراجعة بعضهم بعضا، حتى يتفقوا على رأي واحد "ولما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء وهو أمر مرتكز في الفطرة ... فجاء بالتّفريع بالفاء في قوله: (فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) فحذّرهم أمرين وهما: الفشل وذهاب الريح والفشل انحطاط القوة، لأنّ التنازع يفضي إلى التّفرق وهو يوهن أمر الأمّة"[2].

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالثبات عند مواجهة الأعداء والصبر على مبارزتهم فلا يفرّوا ويجبنوا بل يستعينوا به ويتوكّلوا عليه ويسألوه النّصر على أعدائهم، فما أمرهم به أخذوه وما نهاهم عنه انزجروا ولا يتنازعوا فيما بينهم، فيختلفوا فيكون سببا لتخاذلهم وفشلهم، وذهاب قوّتهم ووحدتهم وضعف شوكتهم.

وجملة (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)، وقد كان للصحابة رضوان الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم قبلهم ولا بعدهم " فإنهم ببركة الرسول (ص) وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقا وغربا في المدّة اليسيرة مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك...فقهروا الجميع حتى علت كلمة الله وظهر دينه على سائر الأديان وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها"[3].

والآية في مجملها هي وصيّة من الله – عز وجل- لطاعته وطاعة رسوله والاستدامة على ذلك، ونبذ النّزاع والاختلاف والصّبر على شدائد الحرب، والله مع الصابرين بالإمداد والإعانة.

---

[1]- الكشّاف، ج2، ص.219.

[2]- التحرير والتنوير، ج10، ص. 31-32.

[3]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص. 50.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم نعرج إلى مادة مرى ونقوم بتحليل هذه الشّواهد، وبمنهج الدراسة نفسها.

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[1].

(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) " تذييل لجملة (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ) على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا الحق وحذف المسند إليه في مثل هذا ممّا جرى على متابعة الاستعمال في حذف المسند إليه بعد جريان ما يدلّ عليه وهذا نفسه ما ذهب إليه الزمخشري قائلا:

"(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) يحتمل أن يكون الحقّ خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق أو مبتدأ خبره (مِنْ رَبِّكَ) وفيه وجهان: أن تكون اللام للعهد والإشارة إلى الحق الذي عليه الرسول (ص) أو إلى الحق الذي في قوله: (لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ) "[2]. بمعنى أن الحق ما ثبت من الله ومن الرسول (ص) وما لم يثبت، فمن أهل الكتاب الذين يحرّفون الكلم عن مواضعه ويلبسون الحق بالباطل.

وقوله: (فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) أي "فلا تكوننّ من الشّاكين في أن القبلة التي وجّهتك نحوها قبلة إبراهيم خليلي عليه السلام وقبلة الأنبياء غيره والممتري، مفتعل من المرية والمرية هي الشك"[3]. والمرية هي الشك والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة وقد ورد في هذا الموضع من جهة الذم على غرار ألفاظ الحجاج الأخرى. وفي السياق نفسه قال الطّاهر بن عاشور:"والامتراء افتعال من المراء وهو الشك والافتعال فيه ليس للمطاوعة ومصدر المرية لا يعرف له فعل مجرّد بل هو دائما بصيغة الافتعال...وهذه عادة القرآن في كل تحذير مهمّ"[4].

أي أن الله – جلّ ثناؤه- أخبر أهل الكتاب والمعاندين للرسالات أي ما جاء به الرسول (ص) هو الحق المبين الذي لا مرية فيه ولا شك. "والامتراء الشّك امترى في

---

[1]- سورة البقرة، الآية: 147.

[2]- الكشّاف، ج1، ص. 203.

[3]- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2، ص. 27.

[4]- التحرير والتنوير، ج2، ص. 41.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كذا: شكّ فيه والنّهي عن الكون على صفة أبلغ من النهي عن تلك الصفة ولذلك كثر النهي عن الكون على الصفة التي يطلب اجتنابها في القرآن"[1]

وصفوة القول: إن ما جاء به الله – عزّ وجلّ- هو الحقّ المبين لا غير، وهو خطاب للرسول (ص) بأن الحق قد أتاه من ربه، فلا يكون من الشّاكين في أن القبلة التي وجّه نحوها هي قبلة إبراهيم عليه السلام وقبلة الأنبياء غيره.

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[2].

(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) " خبر لمحذوف أي هو الحق وهو راجع على البيان والقصص المذكور سابقا، والجار والمجرور حال من الضمير في الخبر. وجوّز أن يكون (الحق) مبتدأ و(من ربك) خبره ورجّح الأول بأن المقصود الدلالة على كون عيسى مخلوقا كآدم عليهما السلام هو (الحق)"[3].أي أن الذي تلوناه عليك هو الحق والمقصود بالحق هو عيسى عليه السلام الذي لا محيد عنه، ولا صحيح سواه وما بعد الحقّ إلا الضلال.وقوله: (فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)، والخطاب هنا للنبّي (ص) والمقصود التعريض بغيره وهم النّصارى الممترون الذين امتروا في الإلهية بسبب تحقق أن لا أب لعيسى عليه السلام وهذا ما أشار إليه أحد المفسّرين المحدثين، في قوله:" قد ذكروا في هذا الأسلوب فائدتين إحداهما أنه (ص) إذا سمع مثل هذا الخطاب تحركت منه الأريحية فيزداد في الثبات على اليقين نورا على نور ثانيهما، أن السامع يتنبه بهذا الخطاب أمر عظيم فيفزع وينزجر عمّا يورث الامتراء، لأنه (ص) مع جلالته التي لا تصل إليها الأماني إذا خوطب بمثله فما يظن بغيره؟! ففي ذلك زيادة ثبات له صلوات الله تعالى وسلامة عليه ولطف بغيره"[4].

---

[1]- أبو حيان الأندلسي، النهر الماد من البحر المحيط، ج1، ص. 220.

[2]- سورة آل عمران، الآية: 60.

[3]- روح المعاني، ج3، ص. 187.

[4]- عبد المنعم (أحمد بن ثعيلب)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، ج1، ص. 339.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالامتراء في هذا الموضع ليس الشك والريبة وحاشا أن يكون الرسول (ص) ممتريا وإنما من باب التهيّج لزيادة الثبات والطمأنينة وأن يكون لطفا لغيره "والامتراء الشك، قال ابن الأنباري: هو مأخوذ من قول العرب مريتَ الناقة والشاة إذا حلبتهـا، فكـأن الشـاك يجتذب بشكّه مراء كاللبن الذي يجتذب عند الحلب، يقال قد مارى فلان فلانـا إذا جادلـه كأنه يستخرج غضبه ومنه قيل: الشّكر يمتري المزيد أي يجلبه"[1].

وهذا السياق نفسه ما ذهب إليه الطّبري قائلا:" (فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) يعني فلا تكن من الشاكين...والممترون الشاكون والمرية والشك والريب"[2].

والآية في مجملها خطاب للنّبي (ص)، لأنّه لم يكن شاكّا في أمر عيسى عليه السـلام ولا يضر استحالة وقوع الامتراء منه عليه السلام.

الموضع الثالث:

قال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْـدَهُ ثُـمَّ أَنْـتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[3].

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ) "استئناف مسوق لبيان كفرهم بالبعث، والخطاب إن صـح كونه عاما، لكنه هنا خاص بالذين كفروا كما يدل عليـه الخطـاب"[4]. والمشـهور عنـد المفسرين أن المخلوق من طين هنا "هو آدم عليه السلام...وقال أحد شعراء الجاهلية[5]:

إلى عِرقِ الثّرَى وَشَجَتْ عُرُوقِي وَهـــذا المَوتُ يَسلُبُنِي شَبَابِي

والمعنى أن آدم خلق من تراب أو طين والبشر من آدم، فلذلك قال:(خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ)، أي من عرق الطين وفروعه على حد قول الشاعر.

1- الرّازي، تفسير الفخر الرّازي، ج8، ص. 85.

2- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، ص. 297.

3- سورة الأنعام: الآية 2.

4- روح المعاني، ج7، ص. 86.

5- النهر المادّ من البحر المحيط، ج2، ص. 355.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام من طين وخلق ذريته من ماء مهين ومنه خرجوا وانتشروا في مشارق الأرض ومغاربها، وقد أتى بضمير (هو) في قوله (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ) ليحصل تعريف للمسند والمسند إليه معا فتفيد الجملة القصر في ركني الإسناد في متعلقها أي هو خالقكم لا غيره من طين لا من غيره. وقد ذكر مادة الخلق التي هـي الطين لإظهار فساد استدلاله على إنكار الخلق الثاني، لأنّهم استبعدوا أن يعاد خلق الإنسان بعد أن صار ترابا وقد تواترت حكاية ذلك في القرآن العظيم.

وجملة (ثُمَّ قَضَى أَجَلا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) أي خلقنا سبحانه وتعالى وحدّد لكـل مخلـوق عمره بل وعمر الكون الذي نعيش فيه و (أجلا) يعني به الموت (وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) يعني الآخرة ومعنى ذلك هو مابين أن يموت وأن يبعث وكذا عمر الدنيا بكمالها ثـم انتهائهـا وانقضائها ومن ثم فالمصير إلى الدار الآخرة وكل هذا لا يعلمه إلا الله – عز وجل- وقد تقدم هنا (عنده) لتعظيم شأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم.

وقوله: (ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) "فحرف (ثم) للتراخي الرتبي كغالب وقوعها في عطف الجمـل لانتقال من خبر إلى أعجب منه...والمخاطب بقوله: (أنتم تمترون) هم المشركون وجيء بالمسند إليه ضميرا بارزا للتوبيخ والامتراء الشّك والتردد في الأمر وهو بوزن الافتعـال مشتق من المرية – بكسر الميم- اسم للشك ولم يرد فعله إلا بزيادة التاء ولم يسمع له فعل مجرد وحذف متعلق (تمترون) لظهوره من المقام"[1]. والمقام هنا يتمثل في إمكان البعـث وإعادة الخلق والذي دلّ على أن هذا هو المماري فيه والمرية في كلام العرب هو "التردد في المتقابلين وطلب الإمارة مأخوذ من مرى الضرع إذا مسحه للدرّ ووجه المناسبة فـي استعماله في الشّك، أن الشّك سبب لاستخراج العلم الذي هو كاللبن الخالص من بين فرث ودم وقيل: الامتراء الجحد وقيل: الجدال"[2]. أي أنكم تشكّون في قدرة من قدر على خلـق السماوات والأرض وخلقكم من طين حتى صيّركم بالهيئة التي أنتم بها على إنشائه إيـاكم من بعد هذا كله؟! وهذا ما أشار إليه أحد المفسرين المحدثين قائلا:"(ثُمَّ أَنْـتُمْ تَمْتَـرُونَ)

---

[1]- التحرير والتنوير، ج7، ص. 132.

[2]- روح المعاني، ج7، ص. 88.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استبعاد لصدور الشّك منهم مع وجود المقتضى لعدمه، أي كيف تشكّون في البعث مع مشاهدتكم في أنفسكم من الابتداء والانتهاء ما يذهب بذلك وما يدفعه"[1]

والآية في مجملها تدور حول حال المشركين الذين أنكروا البعث فإنه –عز وجل- ذكّرهم بخلق السماوات والأرض وعجّب من حالهم في تسويتهم بمن لم يخلق بالله تعالى ثم ذكّرهم بخلقهم الأوّل فكيف يمترون أي يشكّون في البعث والنّشور.

الموضع الرّابع:

قال تعالى:﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[2].

(أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا) كلام مستأنف على إرادة القول "والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدّر يقتضيه المقام"[3] أي قل لهم يا محمد: أأميل إلى زخارف الشياطين أو أعدل عن الطريق المستقيم فأطلب حكما غير حكم الله تعالى يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل.

وجملة (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلا) أي ربنا أنزل قرآنا لا عوج فيه، له منهاجه يهدي للتي هي أقوم "وهي جملة حالية مؤكّدة للإنكار ونسبة الإنزال إليهما خاصة مع أن مقتضى المقام إظهار تساوي نسبته إلى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل"[4].

وهذا نفسه ما أشار إليه الزمخشري قائلا:" مبيّنا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء"[5]. أي أن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابا يدعو إلى التي هي أحسن إلى سبل الخير والفلاح.

1- عبد المنعم (أحمد بن ثعيلب)، فتح الرّحمن في تفسير القرآن، ج2، ص. 838.

2- سورة الأنعام: الآية 114.

3- فتح الرحمن في تفسير القرآن، ج2، ص. 926.

4- روح المعاني، ج8، ص. 8.

5- الكشّاف، ج2، ص. 57.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوله" (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) "كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط بإنزاله أمر الحكمة وتقرير كونه منزلا من عنده – عز وجل- "[1].

والمراد بالكتاب التّوراة والإنجيل فهم يعلمون حق العلم أن القرآن العظيم حق منزّل من الله – عز وجل- لكن بتنطّعهم وتكبرهم ألبسوا الحق بالباطل. وجملة (فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) أي "المترددين في أنهم يعلمون ذلك لما يشاهد منهم من آثار العلم وأحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على الأخبار بعلم أهل الكتاب أو في أنه منزّل من ربّك بالحق، فليس المراد حقيقة النهي له (ص) عن الامتراء في ذلك بل تهييجه وتحريضه عليه الصلاة والسلام"[2].أي فلا تكونن يا محمد في هذا الكتاب وغير ذلك ممّا تضمّنه، لأن الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك للحق فلا تكوننّ من الشّاكين مما قصصنا عليك.

ثم نعرّج إلى مادة (خ، ص، م) وندرس سياقاتها وبمنهج الدراسة نفسها مع بقية ألفاظ الحجاج الأخرى.

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[3].

وجملة (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) عطف واستثناء لجملة ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[4]. والمراد منها يروقك ويعظم في النفس "وهو الأخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق، إذا لقي رسول الله (ص) ألان له القول وادّعى أنه يحبه، وأنه مسلم وقال يعلم الله أنني صالح وقيل هو

---

[1]- فتح الرحمن في تفسير القرآن، ج2، ص. 927.

[2]- روح المعاني، ج8، ص. 10.

[3]- سورة البقرة: الآية 204.

[4]- سورة البقرة: الآية 201.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عام في المنافقين كانت تحلوا لي ألسنتهم وقلوبهم أمر من الصبر"[1].(ومن) بمعنى بعض و(يعجبك) من الإعجاب والعجب انفعال يحدث في النفس عند مشاهدة أمر غير مألوف خفي سببه" ولما كان شأن ما يخفى سببه أن ترغب فيه النفس صار العجب مستلزما للاستحسان فيقال أعجبني الشيء بمعنى أوجب لي استحسانه"[2].

(فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا، لأن ادعاءه بالمحبة باطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة. وقوله: (وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ) أي يحلف ويقوم الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام وهو يبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق.

وقوله: (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) أي شديد الجدال والعداوة للمسلمين "إضافة الألدّ بمعنى كقولهم ثبت الغدر أو حصل الخصام، ألد على المبالغة وقيل الخصام: جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو أشد الخصومة خصومة"[3]. وهذا ما علل به ابن قتيبة قائلا : " رجل ألدّ بيّن اللّدد، وقوم لدّ، والخصام جمع خصم ويجمع على فعول وفعال، يقال: خصم وخصام وخصوم"[4] وهذا السياق نفسه أشار إليه الطّاهر بن عاشور قائلا:"(أَلَدُّ الْخِصَامِ) إنه شديد الخصومة أي العداوة مشتق من لَدَهُ، يلدُهُ بفتح اللام لأنه من فعل...يقول لدِدت يا زيد بكسر الدال، إذا خاصم فهو لادٍ ولدود، فاللدد شدة الخصومة والألد الشديد الخصومة... فالألد صفة مشبهة وليس اسم تفضيل"[5]. لكون المنافق عند خصومته يكذب ويزور عن الحق ولا يستقيم معه، بل يفتري ويفجر، ومن صفات المنافق أيضا الفجور عند الخصومة وهذا هو اللّدد، وفي هذا المعنى قال الطبري:"قد لددت يا هذا ولم تكن ألد فأنت تلدُّ لددا ولدادة، فأما إذا غلب من خاصمه، فإنما يقال فيه لددت يا فلان فلانا فأنت

1- الكشّاف، ج1، ص. 248.

2- التحرير والتنوير، ج2، ص. 266.

3- الكشّاف، ج1، ص. 248.

4- ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تح : السيد أحمد صقر، ج1، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 1978 م ، ص. 80

5- التحرير والتنوير، ج2، ص. 267.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلدّه لدا ومعنى اللدد الشديد الجدال في الخصومة وهو الجدال بالباطل، وأما الخصام فهو مصدر من قول القائل خاصمت فلان خصاما ومخاصمة"[1].

من خلال عرضنا هذا المقتضب حول لفظة الألد المقترنة بالخصام تبيّن لنا أنها تعني الخصومة والعداوة الشديدة، لهذا السبب أتت في سياق ذكر المنافق الأخنس بن شريق الذي أظهر الإيمان والإسلام وأضمر في قلبه الكفر والنفاق.

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾[2].

(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) أي حق من الله وهو توكيد الرسالة.

وقوله: (لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) أي تحكم بما أوحى به الله إليك وأطلعك عليه والعباد مطالبون بالتحاكم إليك، لأنّ الله - عزّ وجلّ – ضمن لك العصمة.

وجملة (وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) نهي للرسول (ص) عن معاضدة أهل الكفر والنّفاق والدّفاع عنهم، واللام في قول : (لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) "لام العلة وليست لام التقوية ومفعول (خَصِيمًا) محذوف دلّ عليه ذكر مقابله وهو (لِلْخَائِنِينَ) أي لا تكن تخاصم من يخاصم الخائنين أي لا تخاصم عنهم فالخصيم هنا بمعنى المنتصر المدافع...والخطاب للنّبي (ص)"[3].

أي لا تكن لأجل الخائنين مخاصما للبراء وهذا ما ذهب إليه الألوسي قائلا:"(وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) وهم بنو أبيرق أو طعمة ومن يعينه أو هو ومن يسير بسيرته واللام للتعليل والنهي معطوف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم"[4].والآية في مجملها شهادة من الله –جل ثناؤه- بأن الرسول (ص) مبعوث من ربّه وأن الكتاب المنزّل عليه

---

[1]- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2، ص. 316.

[2]- سورة النساء: الآية 105.

[3]- التحرير والتنوير، ج5، ص. 193.

[4]- روح المعاني، ج5، ص. 140.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أوحي إليه متلبسا بالحق وفي هذا توكيد لصدق الرسالة، والعباد مطالبون بالتحاكم إليـــه؛ لأن النبي (ص) إذا رأى شيئا أصاب لكونه الله أراه ذلك، وقد ضمن العصمة له كما نهى عن موالاة أهل الكفر والنفاق والدفاع عنهم.

وأخيرا نعرج إلى مادة بره أو بالأحرى البرهان، ونقوم بدراسة سياقاته.

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُـــلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]

(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ) عطف واستئناف لجملـــة ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـــابِ لَـــوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾[2] والضمير لأهل الكتاب من النصارى واليهود بقرينـــة قوله (إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى)، والمعنى قالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا "فلفّ بين القولين ثقة بأن السامع يردّ إلى كل فريق قوله وأمنًا من الالتباس لما علم من التعادي بين الفريقين، وتضليل كل واحد منهما لصاحبه"[3].

يبين الله تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه حيث ادّعت كل طائفة منهم، أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملّتهم.

وقوله: (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) أي "لا ينزل على المؤمنين خير من ربّهم وأمنيتهم أن يردّوهم كفارا... لا يدخل الجنة غيرهم أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم"[4].

أي تمنوا على الله الأماني بغير حق، وردّ الله سبحانه تعالى عليهم بأن هذه الـــدعوى التي ادّعوها بلا دليل ولا حجّة ولا بيّنة هي مجرد أماني لا أساس لها من الصّحة.

---

[1]- سورة البقرة: الآية 111.

[2]- سورة البقرة: الآية 109.

[3]- الكشّاف، ج1، ص. 176.

[4]- المصدر نفسه، ج1، ص. 176.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجملة (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ردّ من الله سبحانه وتعالى عن افتـرائهم ثم عهد إلى نبيّه أن يدعوهم إلى إحضار دليلهم على قولهم إن كانوا صادقين في ادّعـائهم أي " أمر بأن يجابوا بهذا، لذلك فصله، لأنه في سياق المحاورة...وأتى بأن المفيدة للشـك في صدقهم مع القطع بعدم الصّدق لاستدراجهم حتى يعلموا أنهم غيـر صـادقين، حـين يعجزوا عن البرهان؛ لأن كل اعتقاد دون دليل اعتقاد باطل"[1].

وهذا ما أشار إليه الزمخشري قائلا:" هلمّوا حجّتكم على اختصاصكم، بدخول الجنـة و(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) دعواكم...وكل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت (وهات) صوت بمنزلة ها بمعنى أحضر"[2] وفي هذا المعنى قال أبو حيان الأندلسـي:" إذا ادّعـي شـيء طولب المدعى بالدليل على صدق دعواها...والبرهان مشتق من البره وهـو القَطْـعُ أو البرهنة وهي البيان"[3]. والسياق العام للآية يتمحور حـول اغتـرار اليهـود والنصـارى وادّعائهم بالباطل وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون والله سبحانه وتعالى ردّ عـن تلـك الافتراءات والاحتجاجات ودعاهم إلى إحضار الدليل والحجّة لإثبات صحّة ما يقولون.

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[4]

وجملة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ) فالجملة اسـتئناف وإقبـال علـى خطاب الناس كلهم، وبعد أن كان الخطاب موجها إلى أهل الكتاب خاصة "والبرهان الحجّة وقد يخصص بالحجة الواضحة، الفاصلة وهو غالب ما يقصد به القرآن، ولهـذا سـمّى حكماء الإسلام أجلّ أنواع الدليل برهانا والمراد هنا دلائل النبوّة"[5].

ففي هذا المقام خطاب لكافة المكلّفين وجميع أصناف الملل والنّحل يهودها ونصارها ومشركيها، الذين قصّ الله - جل ثناؤه- قصصهم في هذه الآية ففيها تنبيه لهم علـى أن

---

[1]- التحرير والتنوير، ج1، ص. 174-175.

[2]- الكشّاف، ج1، ص. 177.

[3]- أبو حيان الأندلسي، النهر المادّ من البحر المحيط، ج1، ص. 188.

[4]- سورة البقرة: الآية 174.

[5]- التحرير والتنوير، ج6، ص. 62.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحجّة، قد تمّت فلم يبق بعد ذلك علّة لمتعلّل ولا عذر لمعتذر، بمعنى جاءتكم حجة قطع بها عذركم "و(قَدْ جَاءَكُمْ) أتاكم ووصل إليكم (بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ) أي حجّة قاطعة والمراد بها المعجزات والمراد هو النبي (ص)...والتنوين للتفخيم، ومن لابتداء الغاية مجازا...وجوّز أن تكون تبعيضية بحذف المضاف أي كائن من براهين ربكم"[1].

أي جاءنا عن ربّنا السلطان والحجّة والبيان في آيات كونية بشر بها، ودعا إليها السراج المنير، خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (ص).

وقوله: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) أي ضياء واضحا على الحق ألا وهو القرآن "ويبيّن المحجّة الواضحة والسّبل الهادية، إلى ما فيه لكم النجاة من عذاب الله وأليم عقابه، إن سلكتموها واستنرتم بضوئه، ذلك النور المبين هو القرآن أو الحجّة أو البيّنة"[2].

وعليه، فإن البرهان هو محمد (ص)، لأن معه البرهان والنور المبين هو القرآن؛ لأنّ به تتبيّن الأحكام ويهتدى به من الضلالة فهو نور مبين أي واضح بيّن، ويقول الزمخشري في تفسير الآية:" البرهان والنّور المبين هو القرآن أو أراد بالبرهان دين الحقّ أو رسول الله (ص) وبالنور المبين ما يبيّنه ويصدّقه من الكتاب المعجز"[3]. والمراد بهذا النور المبين القرآن العظيم، لأنّه يزيل الظلمات، كما يزيل النّور الحسّي ظلمة اللّيل.

واعتمادا على ما سبق، فإن إطلاق كلمة البرهان على الرسول (ص)، لأنّه أقوى دليل على صدق ما جاء به وإطلاق النّور المبين على القرآن العظيم، لأنّه بنفسه ومستغن في ثبوت حقيقته وكونه من الله تعالى بإعجازه غير محتاج إلى غيره ومبيّن لغيره من حقيّة الحق وبطلان الباطل مهدي للخلق بإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

وبعد تحليلنا لشواهد ألفاظ الحجاج تبيّن لنا أن عددها عشرون شاهدا. وللتوضيح أكثر كان لزاما علينا أن نستجمعها في الجدول الآتي الذي سنذيله بمجموعة من النتائج والتعليقات ثم نبيّن حجم الورود وزمنه وصيغه وما لذلك من دلالات، وبمنهج الدراسة نفسها مع مادة (ح، ج، ج).

---

[1]- روح المعاني، ج6، ص. 42.

[2]- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص. 39.

[3]- الكشّاف، ج1، ص. 585.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موضع ورود الصيغة	الآيـــــــة	الســـورة	رقمها	التعريف المكاني المكي - المدني
من الفعل المضارع (يجادل)	(وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ)	النساء	107	مدنية
	(فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)	النساء	109	مدنية
	(إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا)	الأنعام	25	مكيّة
	(لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)	الأنعام	121	مكيّة
	(أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ)	الأعراف	71	مكيّة
	(يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ)	الأنفال	06	مكيّة
من الفعل الماضي (جادل)	(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)	النساء	109	مدنية
المصدر	(فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)	البقرة	197	مدنية
من الفعل المضارع	(حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ)	آل عمران	152	مدنية
	(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)	النساء	59	مدنية
	(وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ)	الأنفال	43	مكيّة
	(وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)	الأنفال	46	مكيّة
اســـم المفعـــول (مفْتَعَل)	(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)	البقرة	147	مدنية
	(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)	آل عمران	60	مدنية
	(أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)	الأنعام	114	مكيّة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الفعل المضارع	(وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ)	**الأنعام**	02	**مكيّة**
من المصدر	(وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)	**البقرة**	204	**مدنية**
	(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)	**البقرة**	111	**مدنية**
	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ)	**النساء**	174	**مدنية**
صيغة المبالغة	(بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)	**النساء**	105	**مدنية**

تذييل وتعقيب:

أولا: مستوى حجم الورود وزمنه:

ونقصد به مجموع المواضع التي ورد بها مفهومنا المدروس (ألفاظ الحجاج) بمختلف صيغه، حيث نلاحظ من الجدول السابق أن المواضع التي ورد بها هذا المفهوم مدنيا هو اثنا عشر موضعا، بينما المكي ورد في ثمانية مواضع. وسورة النّساء من بين السور المدنية الأكثر ورودا لألفاظ الحجاج، حيث ورد هذا المفهوم ستّ مرات ثم تليها سورة البقرة والأنعام ثم الأنفال ثلاث مرات وهي مكيّة وآل عمران مرتين والأعراف مرة واحدة فقط وهي مكّية. بينما السورتان الأخريتان (المائدة والتوبة) لم نعثر فيهما على هذا المفهوم المدروس.

ثانيا: الصيغ الصرفية التي ورد بها:

نلاحظ من الجدول السابق أن الصيغ التي ورد بها هذا المفهوم هو خمس صيغ وهي على هذا النحو:

1. **الفعل المضارع**: يجادلونك (مرتين)، ليجادلوكم، تجادل، يجادل، أتجادلونني، هذا ما يخص مادة جدل. بينما النزاع نجد: تنازعتم (مرتين) ولتنازعتم ولا تنازعوا كلها جاء بصيغة المضارعة، ذلك لتجدد مجادلة أهل الباطل للرسالات واستمرار نزاعهم في كل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مكان وزمان وكذا للحكاية واستحضار الصّورة. كما وردت مرى بصيغة واحدة للمضارع ألا وهي تمترون.

2. **الفعل الماضي**: جاءت صيغة واحدة وهي جادلتم مسندة إلى ضمير الجماعة.

3. **المصدر**: ورد في أربعة مواضع وهي: لا جدال والخصام وبرهان وبرهانكم مسندة إلى ضمير الجماعة.

4. **اسم المفعول على وزن مفتعل**: ورد في ثلاثة مواضع بهذه الصيغة : (فلا تكوننّ من الممترين)

5. **صيغة المبالغة**: وردت في موضع واحد وهي: خصيما.

ثالثا:

هناك أيضا مسألة السيّاق، حيث إن بعض الشواهد التي حللناها واقعة إما في السياق القريب أو السياق البعيد الذي نعتناه بالسياق الأوسع نحو: ما ورد في الآيتين: 114 و121. والسياق القريب لمسناه في بعض الشواهد، ولا بأس أن نستأنس ببعضها نحو: ما ورد في الآيتين: 07 و109 من سورة النساء و105 و107 من السورة نفسها وفي الآيتين 43 و46 من سورة الأنفال. هذا ما يخصّ بألفاظ الحجاج الخمسة فيما بينها، بينما جانب السياق بين مادة (حجج) وألفاظه، فنلمس منها: السياق القريب، نجد الآيتين 60 و61 من سورة آل عمران والآيتين 147 و150 من سورة البقرة، أما السياق البعيد فنجد: الآيتين: 165 و174 من سورة النساء والآيتين 139 و147 من سورة البقرة.

وهذه السياقات القريبة أو البعيدة هي استئناف وتذييل لما ورد على لسان المشركين أو اليهود أو النصارى فهي كلها جاءت من جهة الذّم وجاءت لمحاجة الرّسل والأنبياء وأهل الحق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاتمـــــــــــــــــة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاتمـــــة:

لقد أفضى البحث إلى جملة من النتائج التي سنوجزها في هذه الخاتمة:

- إن الحجاج القرآني هو الحوار الذي يراد به الإبانة والإبلاغ والإقناع، ذلك باستخدام الأدلة العقلية والفطرية والعملية، لإثبات حقيقة الإسلام والإيمان بالله – عزّ وجلّ- وقد ورد للرد على أصحاب الكفر والنفاق وإبطال الباطل وتزهيقه، وتحقيق الحقّ وتثبيته، ذلك بتبني الطّرائق الحوارية.

- إن الحجاج القرآني مفهوم معبّر عنه بأشكال وصيغ وألفاظ مختلفة تروم الحوار وتهدف إلى الإقناع والإذعان بالبراهين والأدلة، فبعض هذه الألفاظ يصل إلى حد التطابق والترادف وبعضها الآخر يتشابه في وجه من الوجوه، وذلك أن كل محاورة فكرية تحدث عنها القرآن الكريم داخلة في الحجاج القرآني، لأنها وإن لم تكن بلفظ الحجاج فهي تصبّ في معناه.

- لقد ورد مفهوم الحجاج وألفاظه في خمسة وثلاثين موضعا، فهو قليل مقارنة بالمفاهيم الأخرى كالعلم والعبادة والإيمان والكفر، ولعلّ مردّ ذلك حجّية القرآن في حد ذاته، فهو معجزة الرسول (ص).

- إن الحجاج أُصّل تأصيلا من قبل مدرستين ألا وهما: المدرسة البلجيكية التي استأنسنا بآراء واحد من ممثليها ونعني بذلك بيرلمان الذي انكبّ على دراسة البلاغة الجديدة، وكذا تلميذه مايير الذي حصر الحجاج في نظريته المساءلة، بينما المدرسة الفرنسية اكتفينا بآراء ديكرو، الذي اهتمّ بالحجاج اللغوي الخالص. والشيء الملاحظ أن هؤلاء اللسانيين تمسّكوا بالإرث الأرسطي إلى حدّ كبير إلى درجة يمكننا أن ننعتهم بأصحاب نظريات تجديدية، أي بعثا وإحياء للقديم ومنه أن مسألة الحجاج عند الغربيين، تختلف حقيقة خصائصها عند العرب لكون العرب لهم فكرهم الحجاجي الخالص والخاص، المميز لثقافتهم ودينهم الإسلامي الحنيف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- لقد ورد مفهوم الحجاج وألفاظه بالصّيغة الفعلية في الغالب، ولعل مردّ ذلك فيما وقع في القرآن العظيم من الجانب العملي بالجانب النظري، وكثيرا ما حدث هذا في عدد من المفاهيم كما يدل أيضا على التّجدد والاستمرار، ليتجلى لنا أن مجادلة الكفار والمعاندين للرسالات متجدّدة في كل زمان ومكان، كما يستعمل المضارع أيضا للحكاية واستحضار الصورة.

كما لفتت انتباهنا قضية مهمّة ألا وهي: مسألة السياق، حيث إن بعض الشواهد التي حللناها واقعة إما في السياق القريب وإما في السياق البعيد الذي أطلقنا عليه اسم السياق الأوسع، وهذا كله استئناف وتفريع لما سبق فبعض الآيات القرآنية تمتد سياقاتها إلى حوالي عشرين آية أو تزيد سواء أكان قبليا أم بعديا، وكل هذه السياقات هي استئناف وتذييل لما ورد على لسان المشركين أو اليهود أو النصارى، فهي كلها جاءت من جهة الذمّ، وجاءت لمحاججة الرّسل والأنبياء وأهل الحقّ.

لقد تبيّن لنا من الشّواهد الّتي حلّلناها أن المواضع التي ورد بها مفهومنا المدروس (مصطلح الحجاج) مدنيا هو أحد عشر موضعا بينما المكي فقد ورد في أربعة مواضع فقط أما ألفاظ الحجاج فقد تواترت مدنيّة في اثنا عشر موضعا والمكي في ثمانية مواضع.

ولعل منطق هذا التّصنيف ينمّ عن الوضع الفكري والعقدي، وما انجرّ عن ذلك من صراعات وخلافات في الفترة المدنيّة، إذ استمر المشركون والملحدون، وطوائف من اليهود والنصارى في العناد والشّقاق ومحاججة أهل الحق.

تنتمي إلى الحقل الدلالي لمادة (ح،ج،ج) عدة ألفاظ مستعملة في القرآن العظيم، إلا أننا اعتمدنا الأقرب وذلك وفق معيارين:الأول، التّدقيق المعجمي وهو الأساس فقد وردت كل الألفاظ التي اعتمدناها في دراستنا في ثنايا المعاجم اللغوية بمعنى الحجاج، والمعيار الثاني: يتمثّل في حجم الورود والتواتر، إذ رتبناها من الأكثر ورودا إلى أقلها، ولهذا السبب اعتمدنا الجدل أولا ثمّ الألفاظ الأخرى بحسب منطق الورود.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأخيرا، إن القرآن الكريم بحاجّة ماسّة إلى دراسة لألفاظه، لاستخلاص الدلالة الخاصّة لكلّ لفظ، وفق الأنساق التي لها في بنية القرآن. وبعد ذلك الاستيعاب ينبغي تركيز النّظر بمنهجيّة حقيقيّة لإنجاز المعجم المفهومي لألفاظ القرآن الكريم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصـــــــادر
والمراجـــع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر والمراجع باللغة العربية:

القرآن الكريم.

1. ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، حقّقه وشرحه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط2، منشورات دار الرّفاعي، الرياض: 1983 م.
2. ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: محمد أحمد عبد العزيز، د.ط، مكتبة عاطف، القاهرة: 1978 م.
3. ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 1993 م.
4. ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتّصال، تقديم وتعليق: بوعمران الشيخ وجلول البدوي، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر:1982
5. ابن فارس (أحمد بن زكرياء)، مقاييس اللغة، تح: محمّد عبد السّلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان: 1991 م.
6. ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تح: السيد أحمد صقر،ج1، دط، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان: 1978.
7. ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، تح: محمّد شعيب الأرناؤوط، ط1 مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان: 1979 م.
8. ابن كثير (الحافظ أبي الفداء إسماعيل)، تفسير القرآن العظيم، دط، دار نور الكتاب الجزائر: 2007 م.
9. ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت: 1990 م.
10. أبو حامد الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام، تصحيح وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان: 1985 م.
11. أبو حيان الأندلسي، النهر المادّ من البحر المحيط، تح: عمر الأسعد، ط1، دار الجيل بيروت، لبنان: 1995.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

12.أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التركي، ط2، دار المغرب الإسلامي: 1987 م.

13.أبو زهرة، المعجزة الكبرى للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر: دت.

14.أبو عبيدة (بن المثنى)، مجاز القرآن، تح: محمد فؤاد سزكين، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر: 1994 م.

15.أرسطو طاليس، الخطابة، حققه وعلّق عليه: عبد الرحمن بدوي، دط، وكالة المطبوعات الكويت: 1979 م.

16.الأصفهاني (الراغب)، المفردات في غريب القــرآن، د. ط، المطبعة الميمنيّة، مصر: دت.

17.الألوسي البغدادي (أبي الفضل شهاب الدين)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، ط4، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان: 1975 م.

18.الثعالبي (عبد الرحمن)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: عمار الطالبي، دط المؤسسة الوطنية للكتاب: دت.

19.الجرجاني (الشريف علي بن محمد)، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، د.ط، دار اللّسان العربي، بيروت، لبنان: 1992 م.

20. الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم سورة النمل نموذجا، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، عدد 12، ديسمبر: 1997 م.

20.الرازي (فخر الدين ابن ضياء الدين)، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتّفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: 1981 م.

21.روبير بلانشي، الاستدلال، تر: محمود يعقوبي، دط، دار الكتاب الحديث، الجزائر: 2003 م.

22.الزمخشري (جار الله)، أساس البلاغة، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992 م.

23.الزمخشري (جار الله)، الكشّاف، رتّبه وضبطه وحققه: محمد عبد السّلام هارون، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 1995 م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

24.السيوطي (عبد الرحمن جلال الدّين)، الإتقان في علوم القرآن، دط، عالم الكتب بيروت لبنان: دت.
25.سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان: 2008 م.
26.سامية الدريدي، الحجاج في الشّعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة،ط1،عالم الكتب الحديث للنشر والتــوزيع،الأردن:2008 م.
27.الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية في علم التّفسير، تح: سيد إبراهيم ط1، دار الحديث، مصر: 1993 م.
28.صالح بلعيد، التّراكيب النّحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، دط ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1994 م.
29.الطبري (ابن جرير)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دط، دار الفكر، بيروت لبنان: 1984 م.
30.طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب: 1998 م.
31.طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي المغرب: 2000 م.
32.عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة دط دار القلم، دمشق، سوريا: 1975 م.
33.عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، دط، جامعة منوبة، تونس: 2001 م.
34.عبد المنعم (أحمد بن ثعيلب)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، ط1، دار السلام للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهــرة، مصر: 1995 م.
35.فؤاد عبد الباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ط2، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر مجمع اللغة العربية، مصر: 1970 م.
36.الفراء، معاني القرآن، دط، عالم الكتب، بيروت: 1980 م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

37.الفيومي (أحمد بن محمد المقري)، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، دط المطبعة الأميرية، القاهرة: 1980 م.

38.القرطبي (محمد بن أحمد)، الجامع لأحكام القرآن، ط1، مكتبة رحاب، الجزائر: 1990م.

39.الكفوي(أبو البقاء الحسيني)، الكليات، دط، المطبعة العامرة، مصر: دت.

40.محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، دط، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر: دت.

41.محمد الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير،دط، الدار التونسية للنشر، تونس: 1984م

42.محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري تطبيقي لدراسة الخطابة العربية، القرن الأول نموذجا، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب: 1986 م.

43.محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة ورواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، د.ط، عالم الكتب، القاهرة: 1988 م.

44.المناوي (عبد الرؤوف)، فيض القدير، شرح الجامع الصغير، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان: 1972 م.

45.هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف: حمادي صمود، منوبة، جامعة تونس، كليات الآداب: دت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب - المراجع باللغة الأجنبية:

47- Anscombre et Ducrot, L'argumentation dans la langue, édition Mardaga, Bruxelles, 1ere édition: 1983.

48- Ducrot, Les échelles argumentative, édition de minuit Paris: 1980.

49-Dominique Maingueneau, Analyse du discours, Nouvelle édition Hachette, 1991.

50- Meyer (Michel), Questions de rhétorique, Paris: 1993.

51- Meyer (Michel), Logique, langage, et argumentation, édition Hachette: 1982.

52- Meyer (Michel), De la problématologie, philosophie, science et langage, Bruxelles, Mardaga: 1986.

53- Perelman, L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, édition Librare philosophique, Paris: 1977.

54- Perelman et Tyteca, Traité de l'argumentation, édition de l'université de Bruxelles 5 ème édition: 1992.

55- Philippe Breton, L'argumentation dans la communication, 3ème édition, La découverte, Paris: 2003.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرست

الموضوعات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس الموضوعات

مقدمة.. 01

الباب الأول:

مفهوم الحجاج ودلالاته

الفصل الأول:

دلالة الحجاج لغة واصطلاحا

1. الدلالة اللغوية للحجاج عند اللغويين العرب 06

أ. مفهوم الحجاج لغة 06

ب. مفهوم الحجاج اصطلاحا 07

2. مدلول الحجاج في البلاغة الأرسطية 10

.... أ. الحجاج بين أفلاطون والسفسطائيين 10

.... ب. الحجاج بين البلاغة الأرسطية والفلسفة الأفلاطونية 12

.... ج. علاقة الحجاج بالجدل والخطابة 14

3. مفهوم الحجاج عند اللسانيين الغربيين 15

أ. مفهوم الحجاج عند بيرلمان 15

ب. تأصيل الحجاج عند مايير 19

ج. مفهوم الحجاج عند ديكرو 21

الفصل الثاني: تحديد بعض المصطلحات الواردة في عنوان البحث

1. مفهوم السورة 25

2. مفهوم الآية 27

3. السبع الطوال 29

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

...... **4.الاحتجاج القرآني ودلالاته** **31**

5. ألفاظ الحجاج **34**

6. طرائق تداول القدامى للألفاظ القرآنية **42**

1.6. الدلالة المعجمية **43**

2.6. الدلالة السياقية **44**

3.6. الدلالة المرجعية **44**

الباب الثاني:

معاني ألفاظ الحجاج في السبع الطوال وسياقاتها المختلفة

الفصل الأول: دراسة سياقات مادة (حجج)

1. المستوى الإحصائي والتصنيفي لمادة (ح، ج، ج) **49**

الموضع الأول **50**

الموضع الثاني **51**

الموضع الثالث **53**

الموضع الرّابع **54**

الموضع الخامس **56**

الموضع السّادس **58**

الموضع السّابع **60**

الموضعين الثامن والتاسع **61**

الموضع العاشر **63**

الموضع الحادي عشر **64**

الموضعين الثاني عشر والثالث عشر **65**

الموضع الرابع عشر **67**

الموضع الخامس عشر **69**

تذييل وتعقيب **72**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني: دراسة سياقات ألفاظ الحجاج

1. مادة (جدل).. 75

الموضع الأول 75

الموضع الثاني.. 77

الموضعين الثالث والرابع 78

الموضع الخامس 79

الموضع السادس 80

الموضع السابع 82

الموضع الثامن 83

2. مادة (نزع) 84

الموضع الأول 84

الموضع الثاني 86

الموضع الثالث 88

الموضع الرابع 89

3. مادة (مري) 90

الموضع الأول 90

الموضع الثاني 92

الموضع الثالث 93

الموضع الرابع 95

4. مادة (خصم) 96

الموضع الأول 96

الموضع الثاني 97

5.مادة (بره) 98

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموضع الأول 98
الموضع الثاني 100
تذييل وتعقيب **103**
خاتمة **106**
قائمة المصادر والمراجع **110**
فهرس الموضوعات **116**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com